مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين ...

قد يعجب المراقب لتسارع الأحداث المولدة للصحوة الإسلامية في النصف الأخير من القرن الماضي ، وذلك عندما يلحظ مدى الامتداد القومي الذي كان مسيطراً على الدول الإسلامية ، ثم بداية انحساره تدريجياً حتى شملت الصحوة الإسلامية كل الأقطار العربية وغير العربية ، بل وصلت إلى بلاد لغرب .

وقد يفاجأ لو قام بمقارنة بسيطة لوضع الشيعة السياسي في العالم الإسلامي بين ما قبل عام 1979 عام انتصار الثورة الإسلامية في إيران وما بعده ، وذلك عندما يلاحظ أن قيام هذه الثورة المباركة التي نهض بها الإمام الخميني ، قدس الله ثراه ، دفع بالشيعة الإمامية إلى واجهة الأحداث ، وحولهم إلى محور هام من محاور الأحداث العالمية بعدما كانوا على هامشها منفعلين بها لا حول لهم ولا قوة ، حتى بلغ الأمر حداً قال عنه البعض : خرج المارد الشيعي من القمقم ولم يرجع إليه .

ولا ريب أن هذا التغيير الهام جدير بالدراسة لوضع اليد على أسبابه للاستفادة منها ، وتقويتها وترسيخها لأجل المحافظة على هذه الانطلاقة لتتنامى وتتعاظم وصولاً إلى أخذ الإسلام لدوره الذي يليق به .

لا مبالغة في إرجاع أسباب الصحوة إلى قيام الثورة الإسلامية في إيران ، هذه الثورة التي تزامنت مع فشل الشعارات التي نادت بها "القومية" منذ سقوط دولة الخلافة العثمانية ، والتي قامت على أسس إسلامية بحتة على أيدي رجال الدين المخلصين وبقيادة واحد من المراجع العظماء الذين قلما يجود التاريخ بمثلهم إلا وهو الإمام الخميني ، رضوان الله عليه ، حيث لفت نجاحه في إسقاط أعظم القوى الاستكبارية في المنطقة المتمثلة بالشاه محمد رضا بهلوي أنظار المسلمين قاطبة إلى إمكانية التغيير على أسس إسلامية ، وأظهرت تعطش المسلمين إلى الرجوع إلى الإسلام الأصيل بعدما عصفت بهم رياح الغرب طيلة أكثر من نصف قرن ، فخلق لدى الشيعة شعوراً بالاقتدار ، ودفعهم إلى ساحة المواجهة لإثبات أنفسهم وللمحافظة على مكتسبات ثورتهم ، كما دفع بغيرهم للإقتداء بهم ومحاولة إيجاد دور لأنفسهم رديف لما قام به الشيعة ، فكان الرجوع إلى الإسلام بكل ما للكلمة من معنى ، وبرز دور علماء الدين إلى الواجهة ، وأنصت الشارع المسلم لكلماتهم وخطبهم ومواعظهم ، ووضع بين أيديهم الإمكانيات الضرورية للتحرك وللنجاح ، ولا يزال العالم الإسلامي في

دور المخاض الذي سينتهي ، إن شاء الله ، ببزوغ فجر جديد يقول فيه الإسلام كلمته رغم كل المعوقات والدسائس والمؤامرات .

دور ثورة الحسين (ع) في الصحوة الإسلامية

وبالرجوع إلى أسباب نجاح الثورة الإسلامية في إيران يقول الإمام الخميني :

إن كل ما لدينا هو من بركة محرم وصفر .

وهذا توصيف دقيق لسر نهوض الشعب الإيراني في وجه طاغية العصر وعزله رغم كثرة التضحيات التي فرضها عليهم ، حيث تعلموا من إحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين (ع) في شهري محرم وصفر من كل سنة معاني التضحية والفداء ، وعرفوا قيمة الإسلام بتعرفهم على مستوى التضحية الحسينية لأجل إقامته وتصحيح حركته ، وانغرس في نفوسهم حب الشهادة وكره الظلم والاستبداد ، والاستماتة في الدفاع عن المظلوم ومحاربة الظالم ، فضلاً عن لذة الشعور بالعيش العزيز وكراهة الحياة الذليلة ، إلى غير ذلك من الكثير من المعاني الجليلة التي تحملها سيرة شهادة الإمام الحسين (ع) .

أهمية دور علماء الدين والخطباء الحسينيين

وإذا أضفنا إلى ما تحمله الثورة الحسينية من معانٍ تلك الفرصة التي توفرها إقامة مجالس العزاء للتعرف على الإسلام من خلال المواعظ التي يلقيها علماء الدين على المنابر الحسينية قبل مجالس العزاء ومعها وبعدها في المجالات المختلفة بدء من الفقه والعقائد ومروراً بالآداب والأخلاق وانتهاء بالسياسة والاجتماع ، أمكن أن نفهم الربط الوثيق بين انتصار الثورة وقيام الصحوة الإسلامية من جهة وبين إحياء ذكرى عاشوراء الحسين من جهة أخرى .

هذا فضلاً عن بروز الدور العلمائي كموجه وقائد وولي ومخلِّص أدى إلى التفاف الناس حول المرجعية الرشيدة على نحو وثيق ، وإطاعة أوامر الفقيه الولي في جميع الأمور حتى في السياسة والإدارة .

وكلما كان الخطيب الحسيني يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على كاهله وخطورة الدور الذي أنيط به ، كلما كان عطاؤه أكبر وأكثر فاعلية وتأثيراً في نفوس الناس حتى يصل بهم إلى الهدف الأسمى ، ألا وهو البناء الروحي القائم على مبدأ القيم الإسلامية العليا .

وفي المقابل كلما تهاون بدوره وتعاطى معها كوظيفة روتينية يهدف من خلال ممارستها إلى العيش ومجرد اكتساب المال والسمعة والوجاهة والمدح كلما سلب الدور العلمائي قيمته ، وحوله إلى أداة هدامة تكون عثرة إضافية في طريق النهوض الإسلامي المرتقب .

خطورة دور الخطباء الحسينيين

عندما يصبح هم الخطيب الحسيني إبكاء الناس لأجل إثبات نجاحه هو في حرفته ، وإبراز جمال صوته ، وقدرته على التأثير في الناس عاطفياً ، ويبتعد عن الجوهر الحقيقي لدوره كمرشد وواعظ ومؤدب وموجه إسلامي وُضع بين يديه الكثير من الإمكانيات المادية والمعنوية ، وفُسح له بالمجال لمخاطبة عموم شرائح المجتمع الإسلامي ، عندها ينقلب ذلك الدور البناء العظيم ، وهو دور الأنبياء والرسل إلى دور هدام خطير هو دور الانتفاعيين من علماء الدنيا المستأكلين بعلمهم الجاهلين لحقيقة تكليفهم ولخطورة السلاح الموضوع بين أيديهم ، حيث سيؤذون به أنفسهم ، ويؤذون به الأمة بكل أطيافها وشرائحها ، وعندها لن يشفع لهم لقب " خدام الحسين (ع)"الذي يعللون به أنفسهم ، ما داموا يعملون لخدمة أعداء الحسين وتحقيق أهدافهم ، ولو عن غير قصد .

مواطن الخطر في الخطابة الحسينية

عمد بعض الخطباء الحسينيين فيما سبق إلى ابتكار طرق جديدة لجلب اهتمام الناس ، وحملهم على الالتفاف حولهم وحول إحياء الذكرى العاشورائية الخالدة ، فاتبعوا طريقتين ثبت فيما بعد فشلهما وخَطَؤهما :

الأولى : اعتماد مبدأ المغالاة في ما يوردونه من معلومات حول مجريات الثورة الحسينية لإثارة العاطفة واستدرار الدمعة من جهة ، وإيقاد الحماس في النفوس من جهة أخرى .

فكانوا يبالغون في تعداد جيوش الأعداء ، ويبالغون بشجاعة أصحاب وأنصار الحسين (ع) ، ويبالغون في إظهار المظلومية من خلال إيراد أرقام كبيرة تفوق الواقع بكثير ، بل تفوق حد القبول ، وهذا ما كاد أن يحول السيرة الحسينية إلى سيرة تشبه إلى حد ما "تغريبة بني هلال" و"قصة الزير سالم" و"سيرة عنترة العبسي" وما شابه ذلك من الأساطير التي كان يعلل المسلمون أنفسهم بقرائتها لاستعادة ذكرى أمجادهم وأمجاد آبائهم وأجدادهم .

الثانية : وضع مرويات لا أساس لها من الصحة ضمن بعض الكتب التي تعرضت لذكر الوقائع العاشورائية ، وخلق قصص واهية بهدف إثارة العاطفة وإسالة الدمعة حتى بلغ بالبعض أن ينسب أشعاراً وأقوالاً وأفعالاً ومواقف للمعصومين ، عليهم السلام ، هم منها أبرياء ، بل بلغ بالبعض أن يخلق لهم أولاداً ليسوا لهم ، لينسجوا حولهم مجالس مشجية ومصائب مبكية .

وهاتان الطريقتان تحملان من الخطر على معاني الثورة الحسينية ما يدعو كل مؤمن حريص على الدين وكل عالم حامل لمسؤولية الإصلاح والهداية أن ينهض بكل ما أوتي من قوة لرفع هذا الحيف وإلغاء هذا التزوير دون أن يغر

ويخدع ببعض الكلمات العاطفية التي تلقى هنا وهناك حول التخوف من تضعيف ذكرى عاشوراء وتشكيك الناس بأحداثها .

إن اتباع الطرق الملتوية في عرض وقائع عاشوراء هو الذي أدى ويؤدي إلى تضعيف هذه الذكرى ، حيث بدأ المثقفون من أبناء هذه الأمة يثيرون الأسئلة ، ويطرحون الإشكالات المنطقية الوجيهة حول ما ينقله بعض قراء العزاء على المنابر مما لا يمكن هضمه ولا الاقتناع به بحال ، بل مما ثبت بالدليل بطلانه ، ويقولون في أنفسهم :

لو كانت أحداث عاشوراء التي تتلى لينا قد حصلت واقعاً لما احتاج إثباتها إلى وضع الأكاذيب .

لماذا لم يذكرها التاريخ لا من قريب ولا من بعيد ، ولا نجد لها في المصادر التاريخية الإسلامية عيناً ولا أثراً رغم تعدد هذه المصادر وتنوعها وذكرها لأدق التفاصيل ؟

وإذا كانت الكتب التاريخية قد أغفلت ، لسبب ما ، ذكر هذه التفاصيل فمن أين جاء بها هؤلاء القراء ؟ هل نزل عليهم الوحي ، أم اتصلوا بالمعصوم ؟

إن ما اتفقت عليه كلمات المؤرخين من أحداث كافية وحدها في تحقيق أسمى الأهداف دون الحاجة إلى الوضع والمبالغة .

بل إن الإصرار على عرض ما لا يصح تاريخياً ، ولا دليل عليه هو الذي يدعو إلى التشكيك حتى بما هو صحيح وواقع ، وذلك لأن ثبوت الكذب أو الخطأ في حادثة ما على نحو متكرر يؤدي إلى الشك في مجمل الحادثة ، ورفض كل ما هو غير قطعي فيها، وهنا يكمن الخطر ، حيث ظهر مؤخراً بين المسلمين من يشكك بأصل اتهام يزيد بقتل الحسين (ع) ، وقد نشر في لبنان كراس بهذا الخصوص أحتفظ بنسخة منه .

محاولات إصلاحية

نظراً لدقة وصوابية ما تقدم من تساؤلات كانت ولا تزال تتردد في صدور البعض وعلى ألسنة البعض الآخر ، التفت جماعة من العلماء المخلصين الشجعان الذين لا يفكرون بأنفسهم ، ولا بمقاماتهم المعنوية ، ولا يقفون عند حساباتهم الشخصية حينما تقتضي المواجهة التضحية لأجل الدين ، التفتوا إلى خطورة الموقف وضرورة القيام بعمل ما في سبيل ردع هؤلاء العابثين بأقدس قضية المفسدين لها بجهلهم ، وضرورة إعادة الثقة إلى ما يتلى في المجالس الحسينية ، فألف الميرزا النوري ، غفر الله له ، كتابه الشهير المعروف باللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر ، والذي بين فيه بعض التحريفات التي وقعت في السيرة الحسينية ، وطالب علماء الدين والخطباء الحسينيين بضرورة الارتداع

عن التكسب بأهل البيت وعدم الكذب عليهم وعدم المغالاة والمبالغة في عرض الوقائع وعدم الكذب واختلاق أحداث لا واقع لها .

ثم جاء من بعده آية الله الشهيد مرتضى مطهري ، طيب الله ثراه ، فكتب في "الملحمة الحسينية " فصلاً حول الموضوع نفسه عرض فيه بعض ما قاله الميرزا النوري ، وأضاف إليه الكثير مما ينبغي بيانه في هذا المجال .

ثم جاء المؤلف الشيخ جعفر الشوشتري ، رضوان الله عليه ، فوضع هذا الكتاب الذي بين يديك ، عزيزي القارئ ، وبين في بدايته ما أورده العالمان المذكوران ، وسلط الضوء على نكات إضافية في عملية التحريف المتبعة عن قصد أو عن غير قصد من قبل بعض المؤلفين الذين كتبوا في هذا الباب .

خصائص هذا الكتاب

بما أن مؤلف هذا الكتاب ، أي الشيخ الشوشتري ، رحمه الله ، كان خطيباً حسينياً متمرساً ، وكان يشعر بأهمية دور الخطباء الحسينيين ، وكان على مستوى من العلم والتقوى ، فلم يكتفِ بنقد ما قام به البعض من تخريب في عرض السيرة الحسينية من خلال اتباع الطريقتين السالفتين ، ولم يقف عند حد توجيه الملاحظات والدعوة إلى ترك ذلك كما فعل النوري والمطهري ، رحمهما الله ، بل سعى لإيجاد البديل الملائم ، بحيث يمكن تحقيق الهدف الذي دعا إلى خلق هذه التحريفات دون الوقوع فيها وارتكاب الإثم بنسبة ما لا يجوز نسبته إلى المعصوم ، ودون إعطاء المغرضين مبرراً ولا ذريعة لتضعيف السيرة الحسينية والتشكيك في مضامينها الصحيحة .

لقد شعر المصنف الجليل بضرورة عدم الاكتفاء بهدم الباطل كما فعل سابقاه ، بل بضرورة البناء لما هو الحق أيضاً ، فهدم الضعيف وبنى المتين .

و لما كان ، رحمه الله ، قارئاً لمجالس العزاء متمكناً منها ، كان بمقدوره إيجاد البديل وحل المعضلة ، فعمد إلى إبداع طريقة جديدة لا تقوم على مبدأ المغالاة ، ولا على فكرة الوضع والكذب ، بل تقوم على نظرية " التعمق في دراسة الواقع " ، وهي طريقة تعتمد إلقاء المزيد من الأضواء على الحادثة المتيقن وقوعها لرؤية ما فيها من دقائق وتفاصيل وتحليلها ومقارنتها بأمثالها للخروج بذات النتيجة التي رغب القوم بها قدماً ، ألا وهي إظهار الجانب العاطفي في أقوى صوره ، وإثارة الدمعة على ما أصاب أهل البيت من المصاب الجلل . فتراه يعرض لكل حالة ومفردة من مفردات الواقعة الكربلائية ، ويدقق بكلمات الروايات التي وردت في المصادر المعتبرة ليحللها ويضع إصبعه على سرها ، ثم يستشهد على استنتاجاته بما ورد أيضاً من روايات عن أهل بيت العصمة ، فكان بذلك فريداً في إبداعه عميقاً في فكره ، مخلصاً في عمله ، عظيماً في عطائه .

نقطة انعطاف

يمكن القول بدون مبالغة أن هذا الكتاب يمثل نقطة انعطاف هامة في مسيرة الخطابة الحسينية ، حيث يدعو بلسان حاله إلى ترك الطرق المنحرفة التي تؤدي ، بلا شك ، إلى ضعف بل زوال الخطابة الحسينية مع مرور الزمن ، بل تؤدي للنظر إلى إحياء عاشوراء على أنه ضرب من التخلف الثقافي وقلة الوعي وضعف القدرة على التمييز بين الصحيح والسقيم ، إنه يدعو إلى اتباع طريقة جديدة سليمة من كل مخالفة شرعية وملائمة للتطور الثقافي الذي تعيشه الأمم ، ولا يتصادم مع الوعي المتنامي الذي يسود العالم في هذا العصر ، وفي الوقت نفسه يسلب من الأعداء الحاقدين ذريعة التشكيك والتضعيف .

وفي الختام كلمة

لم يستقصِ المصنف كل ما يمكن أن يقال في المجالس الحسينية على طريقته الفذة ، بل عرض لمجموعة كبيرة من المجالس المبتكرة ، بحسب ما سمح له المجال ، وترك لمن يأتي من بعده من المهتمين والمحققين أن يكملوا الطريق ، فيتموا رسم الصورة التي بدأ بها ، حتى يتولد لدينا مجموعة كاملة من المجالس الحسينية الحديثة التي تفي بالغرض وترفع من مستوى الخطابة الحسينية لتعود إلى دورها العظيم في استنهاض الأمة لمواجهة الظلم والاستكبار دون الخوف من الانحراف والضياع .

من هنا أوجه دعوة للمؤلفين والمهتمين بهذا الجانب لشحذ أقلامهم وتوجيه اهتماماتهم للكتابة على هذا النحو الذي نحاه المصنف كما هي دعوة لقراء العزاء لاعتماد هذه الطريقة التي سنها المصنف في مجالسهم وتعويد الناس عليها ليعتادوا تدريجيا على ترك الاستئناس بما هو مبالغة وغير واقعي في ما ينسب لواقعة كربلاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الشيخ إبراهيم البدوي

14 \ 5 \

2004

مصائب الإمام الحسين (ع)

تحريفات واقعة عاشوراء التاريخية

نظراً لأهمية المطالب التي أوردها المرحوم الشهيد مرتضى مطهري في المجلد الثالث من كتابه الملحمة الحسينية حول التحريفات التي ألصقت بواقعة عاشوراء ، ولأجل إيصال القراء الأعزاء إلى المزيد من المعرفة نرى أنه من الضروري عرض ملخص عن هذه المطالب :

يمكن لنا إرجاع التحريفات التي ألصقت بواقعة عاشوراء بشكل عام إلى نوعين من التحريفات :

التحريفات اللفظية :[1]

أ : قصة فضة والأسد التي ، مع الأسف ، ورد ذكرها في كتاب الكافي [2].

ب : قصة عرس القاسم التي نستظهر أنها حديثة الوضع ، ولا تتجاوز عصر القاجاريين (زمن الملا حسين الكاشفي).[3]

---

[1] - ما هي العوامل التي سمحت بإدخال التحريفات اللفظية ؟

بشكل عام ، كانت وما زالت الشخصيات العالمية الكبيرة موضع اهتمام الناس ، وهو ما كان يؤدي في كثير من الأحيان إلى نسج الأساطير المختلفة حولها . فعندما تصاغ الأساطير حول أبي علي سينا ، وتحاك خرافة رستم وسهراب ، فمن غير المستبعد أن تصنع أساطير كثيرة حول الإمام علي بن أبي طالب (ع) والحسين بن علي (ع) ، كأسطورة ضربة علي يوم خيبر وجرح بدن وجناح جبرائيل ، وكادعاء أن عدد جيش عمر بن سعد كان سبعمائة ألف مقاتل ، وأن يوم عاشوراء كان اثنين وسبعين ساعة . وهنا نستذكر ما قاله أحدهم من أن طول رمح سنان بن أنس قاتل الحسين (ع) كان ستين ذراعاً ، وتعليق بعضهم بأنه لم يرَ في حياته رمحاً بهذا الطول في عالم الدنيا ، فاستنتج أن الله تعالى هو الذي أرسل هذا الرمح من الجنة خصيصاً ليقتل به الحسين (ع) . (المؤلف)

[2] - وردت هذه القصة في كتاب الكافي ، تحقيق علي أكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، قم ، 1367 هـ. ق. ط. 3 ، ج1 ، ص465 ، وإليك نصها :

الحسين بن محمد قال : حدثني أبو كريب وأبو سعيد الأشج قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه إدريس بن عبد الله الاودي قال: لما قتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل ، فقالت فضة لزينب :

يا سيدتي إن سفينة (وهو لقب مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويكنى أبا ريحانة ، واسمه قيس) كسر به في البحر فخرج إلى جزيرة ، فإذا هو بأسد ، فقال : يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، فهمهم بين يديه ، حتى وقفه على الطريق ، والأسد رابض في ناحية ، فدعيني أمضي إليه وأعلمه ما هم صانعون غداً ، قال: فمضت إليه ، فقالت : يا أبا الحارث . فرفع رأسه ، ثم قالت : أتدري ما يريدون أن يعملوا غداً بأبي عبد الله ، عليه السلام ؟ يريدون أن يوطئوا الخيل ظهره .

قال : فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين ، عليه السلام ، فأقبلت (الخيل ؟) فلما نظروا إليه ، قال لهم عمر بن سعد - لعنه الله - : فتنة لا تثيروها انصرفوا ، فانصرفوا . (المترجم)

وقد ذكر الطريحي في منتخبه والدربندي في أسرار الشهادة أن رجلاً من بني أسد نقل أنه كان يرى أسداً يأتي في الليل إلى كربلاء ، وفي الأخير يتبين أن ذلك الأسد كان علياً (ع) والعياذ بالله .(المؤلف)

ج : قصة فاطمة الصغرى (العليلة)، وبقائها في المدينة المنورة ، وإحضار الطير لها بعض أخبار الحسين (ع) .[4]

د : قصة الفتاة اليهودية التي كانت مشلولة ، وكيف أنها شفيت بعدما سقطت عليها قطرات من دم الحسين (ع) من منقار طائر.[5]

---

[3] - راجع منتخب الطريحي ، المشهور بالفخري ، فخر الدين الطريحي ، مؤسسة الأعلمي ، 1992 ، بيروت ، ص 365 ، وقد أخذ الرواية عن روضة الشهداء ، للمولى حسين الواعظي الكاشفي . (المترجم)

[4] - بحار الأنوار، العلامة المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، 1983 ، ج45 ، ص 171 ، حيث ورد فيه :

روى في كتاب المناقب القديم ، عن علي بن أحمد العاصمي ، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله الحافظ ، عن يحيى بن محمد العلوي عن الحسين بن محمد العلوي ، عن أبي علي الطرسوسي ، عن الحسن بن علي الحلواني عن علي بن يعمر ، عن إسحاق بن عباد ، عن المفضل بن عمر الجعفي ، عن جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين عليهم السلام قال :

لما قتل الحسين بن علي جاء غراب ، فوقع في دمه ، ثم تمرغ ، ثم طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي، عليهما السلام، وهي الصغرى ، فرفعت رأسها ، فنظرت إليه، فبكت بكاء شديداً، وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من ... تنعاه ويلك يا غـراب
قال الإمام فقلت من ؟ ... قال الموفق للصــواب
إن الحســين بكــربلا ... بين الأسنة والضراب
فابكي الحسين بعبرة ... ترجي الإله مع الثواب
قلت الحسين ؟ فقال لي ... حقا لقد سكن التراب
ثم استقل به الجناح ... فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي ... بعد الدعاء المستجاب

قال محمد بن علي : فنعتته لأهل المدينة ، فقالوا : قد جاءتنا بسحر عبد المطلب .

فما كان بأسرع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين بن علي عليهما السلام . (المترجم)

[5] - مدينة المعاجز السيد هاشم البحراني ، تحقيق عزة الله المولائي الهمداني ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، 1414 هـ . ق. ، قم ، ج 4 ، ص 74 ، وإليك نص الرواية :

و قد نقل أنه في ذلك اليوم لما جاء الطير والدم يتقاطر من جناحه ووقع على الشجرة يبكي طول ليلته وكان في المدينة رجل يهودي وكانت له بنت عمياء طرشاء مسلولة والجذام قد [أحاط ببدنها فجاء ذلك الطائر والدم يتقاطر منه ووقع على شجرة يبكي طول ليلته وكان اليهودي] قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان ، وتركها في البستان الذي جاء الطير ووقع على شجرة منه . فمن القضاء والقدر ، أن تلك الليلة عرض لليهودي عارض ، فدخل المدينة لقضاء حاجته ، فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان الذي فيه ابنته المعلولة . والبنت لما نظرت أباها لم يأتها تلك الليلة ، لم يأتها نوم لوحدتها ، لان أباها كان يحدثها ويسليها حتى تنام ، فسمعت عند السحر بكاء الطير وحنينه من قلب حزين فبقيت تتقلب على وجه الأرض ، إلى أن صارت تحت تلك الشجرة التي عليها الطير لتسمع بكاءه ، فصارت كلما أن وبكى وحن وصاح ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون . فلما كان السحر قطر من الطير قطرة ، فوقعت على عينها ففتحت ، وقطرت قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرئت ، ثم قطرة على يديها فعوفيت ، ثم على رجليها فبرئت ، فعادت كلما قطر قطرة من الدم تلطخ به جسدها ، فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين - عليه السلام - وهي تحت الشجرة .

فلما أصبح الصباح ، أقبل أبوها إلى البستان فرأى منه بنتا تدور ، ولم يعلم أنها ابنته ، فجاء اليهودي إليها ، وسألها انه كان لي في البستان ابنة عليلة نائمة تحت تلك الشجرة لم تقدر أن تتحرك . فقالت ابنته : والله أنا ابنتك ، فلما سمع كلامها وقع مغشيا عليه . فلما أفاق قام على قدميه ، فأتت به إلى ذلك الطير ، فرآه واكرا على الشجرة ، يئن من قلب حزين محترق القلب مما فعل بالحسين ، عليه السلام ، وما فعلوا به الكفرة وفعلهم بنسائه وأولاده وما جرى في أرض كربلاء . (المترجم)

هـ : حضور ليلى في كربلاء وقوله (ع) لها :
ادخلي الخيمة وانشري شعرك للدعاء .
وقولها شعراً :
نذر علي لئن عادوا وإن رجعوا لأزرعنَّ طريق الطف ريحانا
وإيراد أشعار أخرى بلغات مختلفة ذكرت ليلى بالاسم .
و : قصة طفلة الحسين (ع) التي ماتت في الشام حيث كانت تبكي طالبة رؤية أبيها ، فأحضروا لها الرأس الشريف ، فلما رأته قضت نحبها .[6]
ز : رجوع قافلة السبايا إلى كربلاء في الأربعين ، وأنهم حينما وصلوا إلى مفترق الطرق بين المدينة والعراق طلبوا من النعمان بن بشير أن يحول بهم إلى كربلاء ، بينما الثابت أن الذين زاروا الحسين (ع) يوم الأربعين هما جابر وعطية فقط .
وأما قصة مرور الأسرى في كربلاء والتقاء الإمام السجاد (ع) بجابر فمجرد خرافة .[7]
ح : أن جيش عمر بن سعد كان ثمانمائة ألف مقاتل ، بل مليوناً وستمائة ألف. وأن يوم عاشوراء كان اثنين وسبعين ساعة ، وأن عشرة آلاف شخص قتلوا في حملة واحدة ، وصولاً إلى أن رمح هاشم المرقال كان ثمانية عشر ذراعاً ، ورمح قاتل القاسم كان ثمانية عشر ذراعاً ، بينما كان رمح سنان ستين ذراعاً .
ط : كتب العزاء التي تدأب على بيان تذلل الإمام الحسين (ع) أمام الأعداء من قبيل طلبه بعض الماء منهم .
ي : حكاية الطفل الذي كان في الأسر ، وربط رقبته بحبل ، حيث سحبه أحد الفرسان خلفه حتى اختنق .

---

[6] - نفس المهموم ، عباس القمي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ص416 .
[7] - قال ابن طاووس في إقبال الأعمال ، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني ، مكتب الإعلام الإسلامي ، 1416 هـ ، ق. قم، ج 3 ، ص 100 ، حيث قال فيه :
وجدت في المصباح أن حرم الحسين ، عليه السلام ، وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسين ، عليه السلام، يوم العشرين من صفر ، وفي غير المصباح أنهم وصلوا كربلاء أيضاً في عودهم من الشام يوم العشرين من صفر ، وكلاهما مستبعد لأن عبيد الله بن زياد ، لعنه الله ، كتب إلى يزيد يعرِّفه ما جرى ، ويستأذنه في حملهم ، ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه ، وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً ، أو أكثر منها ، ولأنه لما حملهم إلى الشام روي أنهم أقاموا فيها شهراً في موضع لا يكنهم من حر ولا برد ، وصورة الحال يقتضي أنهم تأخروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قتل ، عليه السلام ، إلى أن وصلوا العراق أو المدينة . (المترجم)

التحريفات المعنوية

أ : التحريف الأول اعتبار ما حصل في كربلاء حادثة استثنائية ناشئة من قانون سري وخاص ، واعتبار أن الحسين (ع) فداء لخطايا الأمة ، وأنه قتل لتغفر تلك خطايا . لا ريب أن هذا فكر مسيحي راج بيننا ، هذا الفكر يمسخ الإمام الحسين (ع) بشكل كامل ، ويصوره وكأنه حصن الخاطئين ، وأن ثورته كانت كفارة مساوئ الآخرين ، وأنه قتل لينجو المذنبون من العذاب الإلهي. وأنه جواب معصية العصاة .

قيل لأحدهم : لماذا لا تصلي ، ولماذا لا تصوم ، ولماذا تشرب الخمر ؟

فقال : ألم ترَني ليلة الجمعة ، وقد شاركت مع الهيئة الحسينية ، فلطمت صدري ثلاث لطمات .

وقد حاول السيد البروجردي أن يمنع أهل قم من بعض الأعمال كالتطبير ، فلم يفلح ، وقالوا له : نحن نقلدك كل السنة إلا هذا اليوم .

الفرق الوحيد بيننا وبين المسيحيين هو العذر الذي نعلل أنفسنا به : "اذرف قدر جناح بعوضة من الدمع ". فهو يكفي ليكون جواب الكاذبين والخائنين وشاربي الخمر وآكلي الربا وظالمي الناس والقتلة .

خط الإمام الحسين (ع) بدل أن يكون خط إحياء أحكام دين الله ، خط : "أشهد أنك قد أقمت الصلاة ، وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر" ، كما قال عن نفسه (ع) : أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، صار بذلك خط الانحراف ، خط ابن زياد ويزيد .

وفي هذا المجال حاكوا أساطير عديدة من قبيل قصة الرجل الذي كان يقطع الطريق ، ويقتل الناس ، وينهب أموالهم ، فلما علم أن قافلة زوَّار الحسين (ع) ستعبر هذه الليلة من النقطة الفلانية كمن لهم في مكمن ، وبينما هو في انتظارهم أخذته غفوة فنام ، فمرت القافلة ، وارتفع غبارها ، ووقع على لباسه وبدنه ، فرأى في نومه أن القيامة قامت، وأنه سحب إلى جهنم بما سفك من الدماء البريئة وبالأموال التي سرقها والأمن الذي سلبه من الناس ، لأن هذا الشخص يعد في نظر الإسلام محارباً ، **{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم ...}**[8]

ولكنه عندما أشرف على جهنم ، امتنعت النار عن مسِّه ، لأنه في تلك اللحظة كان عليه غبار زوار الحسين (ع) ، وأنشدوا .

فإن شئت النجاة فزر حسينا لكي تلقى الإله قرير عينِ

فإن النار ليس تمس جسماً عليه غبـار زوار الحسينِ [9]

---

[8] - سورة المائدة ، آية 33 . يمكن الرجوع في تفسير الآية وبحث المطلب الفقهي إلى الكتب المختصة .

[9] - راجع كتاب الغدير، الشيخ الأميني ، ج 6 ، ص 12 ، حيث قال في معرض الحديث عن شعراء أهل البيت (ع) :

فإذا كان وقوع غبار زوار الحسين على سارق خاطئ تنجيه من جهنم فما هو مقام الزوار أنفسهم ، وما هي درجتهم عند الله ؟ لا بد أن مقامهم سيكون أعلى من مقام النبي إبراهيم الخليل (ع) .

وكما قال الشاعر مفتخراً :

أنا تراب قدم الكلب الذي في حيِّ الشخص الفلاني
أين مني تراب قدم الكلب الذي في حيِّ أمثالك ؟

وحسب قول الشاعر الأصفهاني يصور حال رجل جيء به يوم القيامة ، تقوده ملائكة غلاظ شداد إلى محضر العدل الإلهي ، وراحوا يشهدون على معاصيه وآثامه ، ويقولون : هذا باقر البطون ... إلخ ، إلا أن الملائكة الموكلين بالحساب لم يكترثوا بشهاداتهم .

(شعر فارسي مترجم)

إذا أهدى هذا الميت دمعة واحدة دعوه ، فقد بكى
وإن عصى الله سراً أو عياناً دعوه ، فقد بكى

هذا العاصي لم يصلِّ قط ،

أبو الحسن جمال الدين علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخلعي (الخليعي) الموصلي الحلي ، شاعر أهل البيت ، عليهم السلام ... رقيق الشعر سهله ، وقد سكن الحلة إلى أن مات في حدود سنة 750 ودفن بها وله هناك قبر معروف . ولد من أبوين ناصبيين ذكر القاضي التستري في " المجالس " ص 463 ، وسيدنا الزنوزي في "رياض الجنة " في الروضة الأولى : أن أمه نذرت أنها إن رزقت ولدا تبعثه لقطع طريق السابلة من زوار الإمام السبط الحسين عليه السلام وقتلهم . فلما ولدت المترجم ، وبلغ أشده ، ابتعثته إلى جهة نذرها ، فلما بلغ إلى نواحي (المسيب) بمقربة من كربلاء المشرفة طفق ينتظر قدوم الزائرين ، فاستولى عليه النوم ، واجتازت عليه القوافل ، فأصابه القتام الثائر ، فرأى فيما يراه النائم إن القيامة قد قامت ، وقد أمر به إلى النار ، ولكنها لم تمسه لما عليه من ذلك العثير الطاهر ... ويقال : إنه نظم عندئذ بيتين ... (هما البيتان المذكوران في المتن) راجع مجالس المؤمنين ، القاضي نور الله الشوشتري ، (فارسي) ، المكتبة الإسلامية ، 1354 هـ. ش. طهران ، ج2 ، ص 555 .

ولا يخفى أن الشاعر متوفى عام 750 للهجرة والشوشتري متوفى عام 1019 للهجرة ما يعني أن خلق القصة حصل بين الزمانين ، فنقلها القاضي كما سمعها بدون إسناد .

وأما صاحب رياض الجنة ، وهو الزنوزي الخوئي ، فهو متأخر عن القاضي الشوشتري بأكثر من قرنين ، حيث توفي في منتصف القرن الثالث عشر ، فلا يصلح أي من الكتابين ليكون مصدراً لهذه الحكاية .

ويشهد لما أفاده المصنف من أن هذه الحكاية موضوعة أن الشاعر الموصلي المذكور حيك حوله الكثير من الحكايات التي تنسب له كرامات خارقة يمكن الوقوف على بعضها بمراجعة كتاب الغدير وغيره .

ثم بما أن القصة مجرد منام ، ولا يعرف المنام إلا من قبل صاحبه ، فإنها لا تعدو ، على فرض صحتها ، مجرد شهادة للرجل بحق نفسه ، وهو ما لا يمكن الوثوق به ، ولا روايته في الكتب وعلى المنابر ، فضلاً عن جعل مضمونه قاعدة عامة تقاس بها الأعمال ، وتقدم على الأدلة القطعية المخالفة لها .(المترجم)

وقد أفطر شهر الله كله ...
لكن كان له أنة في إحدى زوايا العارفين دعوه ، فقد بكى

لئن قطَّع من النساء حلمات الصدور ،
وبقر منهن البطون ،
وخصى الآلاف من الرجال دعوه ، فقد بكى
إذا قطع أمعاء الأطفال الرضّع إرباً إرباً ،
مقابل حفنة دموع استعارها دعوه ، فقد بكى

لطالما كان طعامه أموال اليتامى ،
إن جرمه لعظيم ،
عمِل الخطايا في المدينة وفي القرية أيضاً دعوه ، فقد بكى

لطالما حملت ذمتُه حقوق الآخرين ،
ما عرف الله قط ،
بل جعل العالم كله فداء لنفسه دعوه ، فقد بكى

بيده ضرب نفسه بالسيف على مفرقه ،
أغرق نفسه بدمائه ،
وأذاب جسمه من هذا الظلم دعوه ، فقد بكى

مئتا تضييع للناموس
لا تعادل كلمة "سبوح" أو "قدوس "
فإن أجرى دمعةً على لحيته دعوه ، فقد بكى[10]

[10] - ديوان مكرم ، ص 133 .(المؤلف)

سبق أن قلنا : إن عوامل التحريف شيئان ، أما الآن فنقول : إن عوامل التحريف أشياء :

أ : سعي الأعداء لقلب الحقائق وتحريفها .

ب : حس صناعة الأسطورة وصناعة الأبطال الخياليين الموجود في البشر والذي أشرنا إليه سابقاً .

وقد بين الدكتور شريعتي مبنى التوجه البشري للأساطير على أفضل نحو في محاضرة له بمناسبة عيد الغدير ، وقلنا : إن هذا الحس وصل إلى درجة أن يُزعم أن جبريل بقي أربعين يوماً لا يتمكن من الصعود إلى السماء لما أصابه من أذى سيف علي ، وأن ضربة علي كانت قاطعة وسريعة إلى درجة أن "مرحب "لم يشعر بها ، حتى قال لعلي :

يا علي ، كل هذا المديح الذي قالوه فيك لم يكن سوى باطل ، هل هذه مهارتك؟

فقال له علي (ع) : حرك نفسك لتعلم ما الخبر .

فلما تحرك وقع نصفين : نصف إلى جهة ، ونصف إلى جهة أخرى .

ج : في خصوص عاشوراء هناك عامل خاص له دخل في ما حصل فيها من تحريفات ، وهو العمل بالفلسفة الخاصة التي أوصى بها أئمة الدين (أي البكاء والإبكاء والتباكي على الحسين) ، فوضعت التحريفات في سياق إظهارها كوقائع للمصيبة ، وبالتالي دعوة الناس للبكاء لأجلها .

فلسفة هذا التذكر والبكاء والإبكاء هي إحياء هذه الذكرى ، وفلسفة هذا الإحياء أن يبقى الهدف الكلي لهذه الثورة حياً دائماً ، ليظهر الحسين (ع) كل عام في أوساط الناس ، وهم يسمعون من فمه نداء :

ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه .

وليسمع الناس دائماً قوله :

لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برما.

ليسمع الناس هذا النداء الذي أنشد بكل حماس ، ويرون هذا التاريخ الذي كتب بالدم .

ولكن نتيجة الغفلة عن الهدف المرجو من البكاء والإبكاء تحول البكاء إلى هدف بنفسه ، بل صار فناً خاصاً . صار النوح فناً قائماً برأسه في أوساط أهل المنبر وقراء العزاء.

ولكي يبكي الناس أكثر وأفضل ، ولأجل الحصول على ثواب وأجر أكثر ، بحسب الظاهر ، كان لا بد من وضع مجالس عزاء كاذبة . وبمرور الزمن اعتاد الناس على ذلك ، فصاروا كمن اعتاد على شرب الشاي "الغليظ" فلم يعودوا يرغبون بالشاي "الرقيق"، فقد تعودوا على مجالس العزاء الأكثر حرارة والمليئة بالحواشي ، وهذا بنفسه صار عاملاً أساسياً يجبر أهل المنبر أن يعدوا

لأجل إبكائهم مجالس كاذبة ، وإذا أردنا أن نستعمل تعبيراً محترماً نقول : مجالس ضعيفة .

وهنا أورد هاتين القصتين :

يقولون : إن أحد علماء آذربيجان كان يتضايق دائماً من مجالس العزاء التي لا أصل لها ، فكان يعترض على أهل المنبر ، وكان عادة يقول : ما هو "سم الأفاعي" هذا الذي تقرأونه ؟ولكن أحداً لم يكن يصغي إلى ملاحظاته ، إلى أن أقام ذات يوم مجلس عزاء لعشرة أيام في مسجده الذي كان قد بناه بنفسه ، واشترط على قارئ العزاء أن لا يخلط المجلس بشيء من "سم الأفاعي" حسب تعبيره .

قال له قارئ العزاء :

يا سيدي ، لن أقول لك شيئاً ، ولكن اعلم أن الناس لن يبكوا .

فأجابه : لا عليك ، يجب أن لا يقرأ في مجلسي شيء من "سم الأفاعي " هذا . يعني مجالس العزاء الكاذبة .

وأقيم المجلس ، وكان العالم جالساً في محرابه إلى جانب المنبر حين شرع الخطيب بقراءة العزاء ، ولكن مهما حاول أن يُبكي الناس لم يتمكن .عندها وضع العالِم يده على جبينه لما رآه من عجب ، وصار المجلس أكثر برودة .

ولا بد أنه قال في نفسه :

الآن سيقول عوام الناس : إن مجلس هذا العالم لم يُقَم بنية صافية ، لذا لم يحصل فيه بكاء . وسيغادر المريدون المجلس .

فنظر خلسة إلى المنبر ، وأشار إلى القارئ بيده أن ضعْ شيئاً من "سم الأفاعي" على ما تقرأه .

قصة أخرى :

حضرت في إحدى المدن أول مجلس عزاء مطوَّل ، تعرض القارئ خلاله لقصة امرأة ذهبت في زمن المتوكل لزيارة أبي عبد الله (ع) . كانت الزيارة في تلك الفترة ممنوعة.

وبعدما أورد تفاصيل كثيرة لم أعد أذكرها، أُلقيت المرأة في البحر، وهي تصرخ:

يا أبا الفضلِ أغثني .

فظهر لها فارس قادم نحوها ، وهو يقول لها : خذي بركابي .

فقالت المرأة : لماذا لا تمد يدك وتنقذني ؟

فقال لها : أنا ليس لي يدان .

إذن ، الناس أنفسهم يشكلون عاملاً مهماً لوضع هذه التحريفات .

ثم إن الكثير مما يقال بلسان الحال ليس لساناً للحال . كهذا الشعرالفارسي :

يا تراب كربلا ، أنت حاضني وإذ ليس معي أمي ، فأنت حضن أمي

ما معنى هذا الكلام ؟

فلا الإمام قال ذلك ، ولا يليق هذا القول بشأن الإمام ، بل لا يليق بأي رجل . كيف لرجل بلغ السابعة والخمسين من العمر ، حتى على فرض أنه يريد أن يشكو غربته ووحدته ، أن ينادي أمه ؟!!

إن مناداة الأم شأن الطفل الذي لا يزال بحاجة إلى حضن أمه . عمر الطفولة هو العمر الذي يلجأ الأبناء فيه عادة إلى أمهاتهم .

انقسمت بحوث كتاب اللؤلؤ والمرجان ، وهو كتاب لا نظير له في بابه ، ويعبر عن التبحر الواقعي لمؤلفه المرحوم إلى قسمين أساسيين ، تم إبرازهما بأحسن ما يكون، وهما الإخلاص والصدق .

1 - في الصفحة 128[11] أشارة إلى الأكاذيب التي يوردها البعض من قبيل :

أ : بعد نزول علي الأكبر إلى الميدان ومجيء الحسين إلى أمه ليلى قال (ع) لها :

قومي وادعي الله في الخلاء لابنك ، فإني قد سمعت جدي يقول : إن دعاء الأم بحق ولدها مستجاب .

ب : جاءت زينب (ع) إلى الإمام الحسين (ع) حال احتضاره ، فرمقها بطرفه ،

وقال لها : أخيَّه ، ارجعي إلى الخيمة ، فقد كسرت قلبي ، وزدت كربي .

2 - وفي صفحة 196 نقلاً عن كتاب محرق القلوب للمولى مهدي النراقي المشتمل على بعض الأكاذيب[12] :

حينما نزل بعض الأصحاب إلى ساحة القتال رأوا فارساً مدججاً بالسلاح ، ظهر فجأة من وسط الصحراء كأنه جبل ، وقد وضع على رأسه خوذة من

---

[11] - اعتمدنا الترجمة العربية الوحيدة لكتاب اللؤلؤ والمرجان ، وهي لمترجم هذا الكتاب ، نشر دار البلاغة ، بيروت، 2003 م .

[12] - قال آقا بزرگ الطهراني في كتابه الذريعة ، دار الأضواء ، 1403 هـ . بيروت ، ط. 3 ، ج 2 ، ص 149 :

(2329 : محرق القلوب) مقتل فارسي ظريف الاسلوب متداول مطبوع بايران مكررا منها (طبعة عام) 1284 ، للمولى مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني المتوفى في سنة تسع ومائتين وألف ، وصرح به في " الروضات " و "نجوم السماء " وغيرهما وقال في القصص : فيه أخبار ضعاف لا يليق بمثل المحقق النراقي إيرادها ، وطبع أيضا نسخة 1297 وعلى هامشه " مهيج الاحزان " .

وقال رضا أستاذي في كتاب فهرست مخطوطات مكتبة السيد الكلبايكاني ، ج2 ، ص 161 ما ترجمته :

محرق القلوب : مقتل فارسي . للملا مهدي النراقي ، (1149 – 1209) وفيه بعض المطالب الهزيلة والضعيفة مما لا يليق بالمرحوم النراقي نقله .

الفولاذ وعلى كتفيه درعين مدورين ، ومعه سيف يماني مصقول كأنه البرق الخاطف ، وبيده رمح يبلغ ثمانية عشر ذراعاً ، وقد هيأ نفسه للحرب . وكالبرق اللامع والبدر الساطع وصل إلى ساحة القتال ، وبعد أن جال وصال أمام جيوش ابن زياد قال لهم :

من لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن عم عمر بن سعد .[13]

3 - وفي صفحة 200 يقول :

حينما كنت مجاوراً بكربلاء المقدسة أيام دراستي على علامة عصره الشيخ عبد الحسين الطهراني ، طاب ثراه ، جاء سيد عربي قارئ عزاء من الحلة ، وكان أبوه من وجهاء الطائفة، وقد ورث عنه كتباً قديمة ، فأراد أن يستعلم حال أحد الكراسات التي ورثها عن أبيه ، هل هو معتبر أم غير معتبر ، ولم يكن لذلك الكراس بداية ولا نهاية، وقد كُتب في حاشيته : هذا من مؤلفات العالم الفلاني من علماء جبل عامل من تلامذة المحقق صاحب المعالم . الشيخ عبد الحسين .

أولا : استعلم عن أحوال العالم المنسوب إليه الكتاب .

وثانياً : طالع الكتاب ، فرأى فيه أكاذيب لا يمكن أن تصدر عن عالم .

لذا نهى ذلك السيد عن نشر ونسخ ذلك الكتاب . ولكنه وقع بعد فترة بيد المرحوم الدربندي ، فنقل عنه تلك المطالب في كتابه أسرار الشهادة ، وأضافها إلى الأخبار الواهية والمجعولة الواردة في ذلك الكتاب ، والتي لا حصر لها .

فقد ذكر في أسرار الشهادة أن عدد جيش الكوفة بلغ ستمائة ألف فارس ومليون راجل .

4 - وفي صفحة 201 قال :

---

[13] - وهاشم هذا هو المعروف بالمرقال ، وقد قتل في صفين كما نص عليه أرباب السير والتواريخ ، ففي كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، للقاضي النعمان التميمي المغربي المتوفى سنة 363 للهجرة ، تحقيق محمد الحسيني الجلالي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ج 1 ، ص 408 :

قال أبو عبد الرحمان : وانتهى عمار يوم صفين إلى هاشم بن عتبة (المرقال) ، وبيده راية علي ، صلوات الله عليه ، وقد ركزها ، ووقف وكان أعور ، فقال له عمار : يا هاشم ، أعَوَراً وجبناً ، لا خير في أعور لا يغشى الناس . ثم نظر عمار إلى أبي موسى الأشعري ، وهو بين الصفين ، فقال : يا هاشم ، والله لينقضن عهده ، وليخونن أمانته ، وليفرن جهده . ثم حمل عمار وهاشم في أصحاب معاوية وهو يقول :

أعور يبغي أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا

لا بد أن يفِلَّ أو يُفَلَّ

وعمار يقول :يا هاشم ، الموت في أطراف الأسل ، والجنة تحت الابارقة ، ترى محمداً وحزبه في الرفيق الأعلى.

قال أبو عبد الرحمان : فما رأيتهما رجعا من فورهما ذلك حتى قتلا .

ومن المطالب العجيبة التي نقلها (الدربندي) لي مشافهة أنه سمع فيما مضى أن العالم الفلاني قال أو روى أن يوم عاشوراء كان سبعين ساعة ، وأنه كان يستغرب ذلك حينها ، ويتعجب من ذلك النقل ، لكنه حينما فكر وتأمل في وقائع اليوم العاشر تأكد ، وتيقن أن ذلك النقل صحيح ، وأن تلك الوقائع لم يكن لها لتحصل لولا تلك المدة من الزمن .

5 - وأورد في صفحة 202 أن شخصاً من كرمنشاه جاء إلى العالم الكامل والجامع الفريد السيد محمد علي صاحب "المقامع" فقال له : رأيت في منامي كأنني أنهش بأسناني جسد سيد الشهداء (ع) ، ولم يكن السيد يعرفه من قبل ، فأطرق برأسه ملياً ثم قال : لعلك قارئ عزاء ؟

قال : نعم .

فقال له : إما أن تترك ذلك ، أو تأخذ من الكتب المعتبرة .

وفيه (أي في أسرار الشهادة) خرافة أحد قاصدي الكوفة الذي حمل إلى الإمام كتاباً ، وأراد جوابه ، فاستمهله الإمام ثلاثة أيام . وفي اليوم الثالث عزم الإمام على الخروج من المدينة فقال ذلك الشخص :

أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب ، وكيف جلالته وشأنه ؟

فأتيت إلى باب داره ، فرأيت الخيل مسرجة والرجال واقفين والحسين جالساً على كرسي وبني هاشم حافين به ...ورأيت نحواً من أربعين محملاً ، وقد زينت بالديباج والحرير ... وهكذا إلى عصر اليوم الحادي عشر حينما أمر ابن سعد بأن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطاء ولا حجاب .

6 - وفي صفحة 212 نقل (ره) الحكاية التي تقول :

إن زينب (ع) كانت تتنقل ليلة عاشوراء بين الخيام لما تعانيه من الغم والحزن ، وتريد أن تستعلم حال الأهل والأنصار فرأت حبيب بن مظاهر وقد جمع الأصحاب في خيمة ، وهو يأخذ عليهم عهداً على أن لا يدَعوا أحداً من بني هاشم ينزل قبلهم إلى ساحة القتال ...

فرجعت مسرورة إلى خيمة أبي الفضل فرأته قد جمع بني هاشم ، وهو يأخذ عليهم عهداً أن لا يدَعوا أحداً من الأنصار ينزل قبلهم إلى ساحة القتال، فذهبت مسرورة إلى الإمام الحسين (ع) وهي مبتسمة (في ذلك الوقت العصيب) ، فسألها متعجباً عن سبب تبسمها ، فروت له ما رأت ...

7 - وفي صفحة 213 :

بعدما استشهد أهل البيت والأصحاب جميعاً دخل الإمام الحسين (ع) خيمة زين العابدين (ع) ، فسأل أباه عما حصل بينه وبين الأعداء ، فأخبره بأن الأمور بلغت حد الحرب ، فسأله عن جمع من الأصحاب ، فأجابه بأنهم قتلوا ، وهكذا كلما سأله عن واحد منهم قال له : قُتل ، قُتل ، إلى أن سأله عن علي

الأكبر ، فأجابه بنفس الجواب ، وقال له : اعلم أنه ليس في هذه الخيام من الرجال غيري أنا وأنت .

وهذه القصة مع حواشيها الكثيرة صريحة بأن الإمام زين العابدين (ع) لم يكن لديه علم بما يحصل ، ولا يعرف شيئاً عن حال الأهل والأصحاب ، ولا عما يجري في ساحة الحرب إلى حين نزول الحسين (ع) إلى الميدان .

وحين نزل الإمام الحسين (ع) إلى ساحة القتال ، لم يكن هناك من يقدم له جواده إلا المخدرة زينب ، فأحضرته له وركب ...ويذكرون في هذا المقام حواراً دار بينه وبينها يختلف بحسب اختلاف أرباب المنابر . وقد نظموا هذه المضامين في أشعار عربية وفارسية تضفي على المجالس رونقاً ونضارة .

والظاهر أن من جملة ذلك أن زينب (ع) استوقفت أخاها عند الوداع الأخير وقالت له :

إن أمنا فاطمة قالت في وصيتها لي :

إذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً ضميه في صدره ، وقبليه في نحره .

ومن جملة ذلك أيضاً أن الحسين (ع) رأى أن الجواد لا يتقدم ، ومهما حاول أن يحركه لم يتحرك ، حتى لاحظ أن طفلاً ألقى بنفسه أمام حوافره .(وهنا يوردون الأشعار المعروفة لصفي علي شاه في بيان جاذبتي العشق والعقل المرتبطتين ببيان حال زينب في هذا الوقت).

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن زينب كانت عند وفاة الزهراء (ع) بعمر الخمس سنوات .

8 - وفي صفحة 214 :

جاءت زينب إلى مصرعه (ع) ، فرأته يجود بنفسه ، ورمت نفسها عليه ، وهي

تقول: أنت أخي ، أنت رجانا ، أنت كهفنا ، أنت حمانا .[14]

9 - وأورد في صفحة 215 الرواية التي أسندوها إلى أبي حمزة الثمالي ، والتي فيها أنه جاء يوماً إلى الإمام زين العابدين (ع) ، وطرق بابه ، فجاءت الجارية لتفتح له ، وعندما عرفته حمدت الله على وصوله في ذلك الوقت عسى أن يسلي الإمام (ع) ، إذ كان قد أغمي عليه في ذلك اليوم مرتين ، وحينما دخل عليه أخذ في تعزيته بأن الشهادة من عادات هذا البيت وموروثاته ، فالجد والأب والعم استشهدوا ، فصدقه الإمام (ع) ، وقال له : ولكن لم يكن في هذا البيت أسر . ثم يذكرون طرفاً من حالات أسر العمة والأخوات .

---

[14] - نلفت عناية القارئ الكريم إلى أن المحدث النوري كان هنا بصدد تعداد التحريفات المعنوية .

10 - وفي الصفحة ذاتها أورد الخبر الذي يذكرونه منسوباً إلى هشام بن الحكم، وخلاصته أنه قال :

حينما كان الإمام الصادق في بغداد كنت أحضر مجلسه الشريف كل يوم ، فدعاني ذات يوم بعض الشيعة لحضور مجلس عزاء الإمام الحسين (ع) ، فاعتذرت ، وقلت : إني أخاف أن يفتقدني الإمام الصادق من مجلسه ، فيسألني في اليوم التالي عن سبب غيابي ، فلا أستطيع أن أصدقه القول ، لأنه لا طاقة له على تحمل ذكر جده الحسين (ع) ، وبعد الإلحاح ذهبت إلى مجلس العزاء .

وفي اليوم التالي تشرفت بخدمة الإمام الصادق ، فسألني عن سبب غيابي ، وقال :

أتظن أني لم أكن حاضراً في ذلك المجلس ؟

فقلت له : إلا أنني لم أرَك هناك .

فقال : حينما خرجت من الحجرة ألم ترَ عند محل الأحذية (العتبة) شيئاً ؟

قلت : بلى ، رأيت ثوباً مطروحاً ، قال : ذاك أنا ، كنت واضعاً عباءتي فوق
رأسي ومنحنياً نحو الأرض ... إلخ

ونظير هذه الخرافة خرافة أخرى حول الإمام السجاد (ع) وأنه شارك في أحد مجالس العزاء ، فأطفئت المصابيح ، وبعد انتهاء المجلس وإضاءة المصابيح وجدوا أن الإمام (ع) رتب أحذية المشاركين في المجلس زوجاً زوجاً .

11- وفي صفحة 219 ذكر (ره) أن الشبهات التي دعت هذه الجماعة بل بعض أرباب التأليف إلى نقل الأخبار التي لا أساس لها والروايات التي لا يحتمل صدقها وجعل الأخبار ووضعها واختلاق الحكايات تعود إلى أمرين :

أولهما : ما نقل عن بعض مختلقي الكذب من الأخبار التي تمدح الإبكاء ، وترغب فيه ، وما سطر في هذا المجال مما يوحي بأن كل ما يحمل على البكاء وما هو وسيلة للتفجع واستدرار الدموع ممدوح ومستحسن ولو كان كذباً وافتراءً . ومقتضى هذه الأخبار أن ما مر من روايات ذم الكذب وإن كان في غاية الاعتبار إلا أنه مختص بغير مقام التعزية وذكر المصيبة ... فيمكن بهذه الطريقة تجويز الكثير من المعاصي بل جعلها من المستحبات ، وذلك بمثل أخبار فضيلة إدخال السرور على قلب المؤمن ، فإذا كانت الغِيبة أو التقبيل أو الزنا أو اللواط توجب إدخال السرور على قلب مؤمن أو مؤمنة تصبح جائزة .

12 - وينقل (ره) في صفحة 221 حكاية لطيفة نقلها له بعض ثقاة أهل يزد ، قال :

ذهبنا مرة من يزد إلى مدينة مشهد المقدسة سيراً على الأقدام ، وكان طريقنا يمر عبر الصحراء ، وفيه مشقة كبيرة ، وقد عبرنا في سيرنا الكثير من

المنازل والقرى حتى دخلنا قرية من قرى خراسان قريبة من نيسابور ، وبما أنني كنت غريباً فقد ذهبت إلى المسجد لأرتاح قليلاً ، وحينما حل الغروب اجتمع أهل القرية ، وأضاءوا السراج ، وجاء إمام المسجد فصلى المغرب والعشاء جماعة ، ثم صعد المنبر . وجاء الخادم مالئاً
حجره حجارة ، فصعد إلى المنبر ووضعها بجنب الشيخ ، فتحيرت من ذلك .

ثم بدأ الشيخ بقراءة العزاء ، وما أن تلا عدة كلمات حتى قام الخادم وأطفأ السراج فازداد تعجبي ، ثم بدأت الحجارة تنهال من ناحية المنبر على تلك الجماعة ، فارتفعت الأصوات بالصراخ والعويل ، هذا يصيح : آخ رأسي ، وذاك يصرخ من ألم يده أو صدره أو وجهه ، وهكذا علت أصواتهم بالبكاء ، ولم تمضِ فترة حتى توقفت الحجارة، وبدأ الشيخ بالدعاء ، وأضيء المصباح ، وإذا بالدماء تسيل على وجوه الناس ، وعليهم آثار البكاء ، فتقدمت من إمام الجماعة ، وسألته عن حقيقة هذا العمل الشنيع، فقال :

صار لي مدة اقرأ لهم العزاء فلا يبكون ، وعلمت أنهم لا يبكون إلا بهذه الطريقة ، فلم أجد بداً من استخدامها معهم .

بعد ذلك اخذ المرحوم النوري بالحديث عن مسألة التسامح في أدلة السنن حيث فرَّق بين الحديث الضعيف والحديث الموهون ، فقال :

ما تنطبق عليه قاعدة التسامح هو الأحاديث الضعيفة لا الموهونة .

13 - وفي صفحة 228 يقول (ره) :

قصة زعفر الجني[15] وعرس القاسم موجودتان في روضة الكاشفي ، والثانية

---

[15] - راجع كتاب كلمات الإمام الحسين (ع)، الشيخ الشريفي ، دار المعروف ، ،ط. 3 ، قم ، 1416هـ ، ص 483 حيث نقل فيه عن أسرار الشهادة ومعالم السبطين ما يلي :

وعن بعض كتب المقتل عن نور الائمة ، عليهم السلام ، أنه ، عليه السلام ، لما أراد أن يحمل عليهم ، فإذا علا غبار ظهر منه شخص مهيب على مركب عجيب ، وسلم على الإمام وعلى جده وأبيه وأمه ، عليهم السلام ، فرد عليه السلام وقال :

من أنت وتسلم في مثل هذه الحالة على المظلوم الغريب ؟

فقال : يا ابن رسول الله ، أنا زعفر الزاهد سلطان الجن ، وعسكري في هذه البادية ، ولقد أعطى أبوك حين غزا مع الجن في بئر العلم السلطنة لأبي ، وبعد وفاته قد انتقلت إلي ، فائذن لنا أن نحارب مع أعدائك هؤلاء .

قال عليه السلام : لا ، فإنكم ترونهم ، ولا يرونكم .

فقال : نحن نتصور بصورهم ، إن قتلنا كنا شهداء في سبيلك .

فقال عليه السلام : جزاك الله خيراً يا زعفر ، فأني قد سئمت من الدنيا ، ورأيت في الطيف أني ألقى الله تعالى في هذا اليوم شهيدا مجدلا ، فارجع ولا تتعرض لهؤلاء القوم .

فرجع .

أما عن مصدر هذه الحكاية ففي كتاب "طرائف المقال" للسيد علي البروجردي المتوفى عام 1313 هـ ، تحقيق مهدي الرجائي ، مكتبة المرعشي النجفي ، 1410 هـ ، قم ، ط.1 ، ج 2 ، ص 679 :

منهما موجودة أيضاً في منتخب الشيخ الطريحي المشتمل على الموهونات مثل دفن الأعداء لعبد العظيم الحسني ساكن الري حياً .

ثم بيَّن أن قصة العرس لم تذكر في أي كتاب قبل كتاب روضة الكاشفي . وأما قصة زبيدة وشهربانو والقاسم الثاني المنتشرة والشائعة كثيراً في أرض الري وأطرافها على ألسنة العوام فهي من الخيالات الواهية ... فكل علماء الأنساب متفقون على أنه لم يكن للقاسم بن الحسن عقب .

14 - وفي صفحة 230 يقول (ره) :

إن الشيخ الجليل علي بن الحسين المسعودي الذي عاصر الكليني ذهب إلى غاية المبالغة في تعداد من قتلهم سيد الشهداء (ع) في كتابه "إثبات الوصية " فقال :

وروي أنه قتل بيده ذلك اليوم ألفاً وثمانمائة .

بينما أوصلهم ابن شهراشوب على كثرة تبحره واطلاعه ، ومحمد بن أبي
طالب على ما نقله صاحب البحار إلى ألف وتسعمائة وخمسين قتيلاً ، ثم أوصلهم
ذلك الكتاب الذي أُلف بعد ألف سنة من المسعودي (يقصد أسرار الشهادة) إلى ثلاثمائة ألف ، بينما جعل عدد قتلى أبي الفضل خمسة وعشرين ألفاً ، وقتلى الآخرين كلهم خمسة وعشرين ألفاً.

لو فرضنا أن الإمام (ع) قتل رجلاً واحداً في كل ثانية ، فسيحتاج قتل ثلاثمائة ألف رجل إلى ثلاث وثمانين ساعة وعشرين دقيقة ، وهذا لا يمكن تصحيحه حتى لو فرضنا أن يوم عاشوراء كان اثنتين وسبعين ساعة .

وعلى فرض قتل رجل واحد كل ثانية فسيحتاج قتل خمسة وعشرين ألف رجل إلى ست ساعات وست وخمسين دقيقة وأربعين ثانية . هذا بالإضافة إلى أن صحراء كربلاء لا تستوعب مليوناً وستمائة ألف شخص .

ولنختم الكلام بأخصر ما وصل لي في النهاية ، وهو طريق عجيب حدثني أحد أشياخي ، وهو شيخي واستادي في العلوم الأدبية والتفسير الملا محمد باقر الجرفادقاني الوانشاني ، عن بعض الثقاة والنقاة من أهل السياحة عن زعفر الجني . وقد ذكرنا تمام الحكاية في مصنفي الجامع للمقاصد في مسألة صلاة العراة ، حيث إن ذلك الثقة قد لقي زعفراً في أيام سياحته ، وأخذ منه العلوم وكثير من الآثار ، سيما الحديث المشهور المعروف منه حين ظهوره في الطف في خدمة الإمام الشهيد أبي عبد الله ، عليه السلام ، وأخباره بما وقع وطول عمره بسبب دعائه عليه السلام ، فأجازني الاستاد أن أروي عنه ، وأجزت لهم أن يروون هذه الحكاية ، والله ولي السرائر .

إذن ، بعض الثقاة المجهولين يزعم أنه التقى بزعفر الجني الذي كان حياً أيام كربلاء ، وحصلت معه الحادثة، ثم قام هذا الثقة بإخبار الجرفادقاني بالأمر الذي أخبر بدوره البروجردي ، فتأمل .(المترجم)

ثم كيف يمكن تأمين وسائل ومعدات جيش كهذا مع أنهم كانوا كلهم من أهل الكوفة ، حيث لم يكن فيهم شامي ولا حجازي .[16] نسأل الله ثبات العقل .

15 - وفي صفحة 236 يشير (ره) إلى خرافة أخرى مفادها أنه ذات يوم وبينما كان أمير المؤمنين (ع) يخطب فوق المنبر ، عطش الإمام الحسين (ع) ، وطلب ماء ليشرب ، فأمر علي (ع) قنبراً[17] أن يجلب له الماء ، وكان العباس حينها طفلاً ، فلما سمع أن أخاه عطشان أسرع إلى أمه ، وأحضر كأساً مملوءاً من الماء تتقاطر من جانبه القطرات، ودخل به المسجد ، فلما وقعت عليه عينا أبيه (ع) بكى ، وقال ما مضمونه :

شتان ما بين هذا اليوم ويوم عاشوراء ...

لا بد أن هذه القصة حصلت في الكوفة ، لأن الحديث عن منبر وخطابة ، وهما لم يتوفرا لأمير المؤمنين إلا حين استلامه الخلافة ، وكان عمر الحسين (ع) حينها نيفاً وثلاثين سنة . ومن غير المعقول أن يطلب من أبيه ماء إذا عطش وهو مشغول في إلقائه الخطبة ، هذا بالإضافة إلى أنه لا مدرك لهذه الحادثة .

وكيف يمكن لهذا الطفل (أبي الفضل)أن يرمي في حرب صفين ثمانين نفراً في الهواء على نحو لم ينزل الأول منهم إلا بعد أن تم رمي الثمانين ، وكان كلما نزل واحد منهم قسمه بالسيف نصفين .

ثم إنهم نسجوا للذرية الطاهرة وخصوصاً لبنات أبي عبد الله (ع) قصصاً مختلفة، حيث تركوا بعضهن في المدينة ، وزوجوا بعضهن الآخر في كربلاء ، وأماتوا بعضهن عطشاً تصديقاً لقول جبرائيل : صغيرهم يميته العطش .

وزعموا شهادة بعضهن قتلاً كما قتل عبد الله بن الحسن .

---

[16] - هنا يستذكر المرء تلك الخرافة التي جاء بها أحد المبالغين في وصف كبر مدينة هرات خلال حقبة معينة من التاريخ حيث قال : كان فيها ذلك الوقت واحد وعشرون ألف رجل أعور يسمى كل منهم باسم أحمد ، ويعملون جميعاً في طبخ رؤوس وأقدام المواشي . ونظير ذلك المبالغات التي ذكرت عن عدد قادة وأفراد جيش فرعون وعدد قادة وأفراد بني إسرائيل ، وغير ذلك . (المؤلف)

[17] - قنبر هو خادم الإمام علي (ع) . (المترجم)

مختارات من مصائب الإمام الحسين (ع)

ولادة الحسين (ع) وتسميته

إن الذي سمى أبا عبد الله (ع) بالحسين هو الله ، عز وجل ، فعندما نزل جبرائيل على النبي (ص) قال له : إن الله ، عز وجل ، يقول لك : إني قد سميته بالحسين . وعزاه.

وحينما ولد الحسين (ع) قال النبي (ص) :

يا أسماء ، أحضري لي ولدي .

فقالت أسماء : يا رسول الله ، لم نطهره بعد من أثر الولادة .

فقال : إن الله قد نزهه ونظفه .

تقول أسماء : فاحضرت الحسين (ع) . فلما وقعت عينه عليه أخذ يبكي ، وقال :

عزيزاً علي يا أبا عبد الله .

فقالت أسماء : يا رسول الله ، هذا الطفل حديث الولادة ، فلماذا تبكي عليه ؟ لمَ تجري دموعك ؟

قال (ص) : يجري عليه وقائع وأمور في كربلاء ، فأنا أبكي لتلك المصائب .[18]

وقائع ولادة الإمام الحسين (ع) وقصة الملك دردائيل

للإمام الحسين (ع) كرامات كثيرة بدأت مع ولادته المباركة ، منها قصة الملك دردائيل ، الذي كان له ستة عشر ألف جناح ، فجعل يوما يقول في نفسه : أفوق ربنا ، جل جلاله ، شيء ؟ فعلم الله تبارك وتعالى بما قال ، فزاده أجنحة مثلها ، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ، ثم أوحى الله ،عز وجل ، إليه أن طِرْ .

فطار مقدار خمسمائة عام ، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش .

فلما علم الله ، عز وجل ، بعجزه ، أوحى إليه :

---

[18] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 250 . وإليك نص الرواية :

قالت أسماء : فلما ولدت فاطمة الحسين ، عليه السلام ، نفستها به ، فجاءني النبي فقال : هلم ابني يا أسماء، فدفعته إليه في خرقة بيضاء ، ففعل به كما فعل بالحسن . قالت : وبكى رسول الله ، ثم قال : إنه سيكون لك حديث ! اللهم ، العن قاتله ، لا تعلمي فاطمة بذلك .

قالت أسماء : فلما كان في يوم سابعه جاءني النبي فقال : هلمي ابني ، فأتيته .

قالت : ثم وضعه في حجره ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، عزيز علي . ثم بكى .

فقلت : بأبي أنت وأمي ، فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأول فما هو ؟

قال : أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية ، لعنهم الله ، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ، ويكفر بالله العظيم .

أيها الملَك ، عد إلى مكانك ، فأنا عظيم فوق كل عظيم ، وليس فوقي شيء ، ولا أوصف بمكان .

ثم سلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة .

فلما ولد الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) ، وكان مولده عشية الخميس ليلة الجمعة ، أوحى الله إلى "مالك" خازن النيران أن اخمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وأوحى إلى "رضوان" خازن الجنان أن زخرف الجنان ، وطيِّبها لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله) في دار الدنيا ، وأوحى إلى حور العين [أن] تزينَّ وتزاورنَ لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله) في دار الدنيا . وأوحى الله إلى الملائكة أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير، لكرامة مولود ولد لمحمد (صلى الله عليه وآله) في دار الدنيا ، وأوحى الله ، عز وجل ، إلى جبرائيل ، عليه السلام ، أن اهبط إلى نبيي محمد في ألف قبيل ، في القبيل ألف ألف ملك على خيول بلق مسرجة ملجمة ، عليها قباب الدر والياقوت ، معهم ملائكة يقال لهم : الروحانيون ، بأيديهم حراب من نورٍ أن هنئوا محمداً بمولوده . وأخبره ، يا جبرائيل ، أني قد سميته الحسين ، وعزِّه . وأمره أن يخبره بما يجري له في كربلاء .

فبينا جبرائيل يهبط من السماء إلى الأرض إذ مر بدردائيل ، فقال له دردائيل :

يا جبرائيل ، ما هذه الليلة في السماء ؟ هل قامت القيامة على أهل الدنيا ؟

قال : لا ، ولكن ولد لمحمد مولود في دار الدنيا ، وقد بعثني الله ، عز وجل ، إليه لأهنئه بمولوده .

فقال الملك له : يا جبرائيل ، بالذي خلقك وخلقني ، إن هبطت إلى محمد فأقرئه مني السلام ، وقل له : بحق هذا المولود عليك إلا ما سألت الله ربك أن يرضى عني ، ويرد علي أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة .

فهبط جبرائيل على النبي (صلى الله عليه وآله) وهنأه كما أمره الله ، عز وجل ، وعزاه ، وأخبره بما يجري في كربلاء .

ثم أخبر جبرائيل النبي (صلى الله عليه وآله) بقضية الملك وما أصيب به ، فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) الحسين ، وهو ملفوف في خرق من صوف ، فأشار به إلى السماء ، ثم قال :

اللهم بحق هذا المولود عليك ، فارضَ عن دردائيل ، وردَّ عليه أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة .

فاستجاب الله دعاءه ، وغفر للملك ، والملك لا يعرف في الجنة إلا بأن يقال :

هذا مولى الحسين بن علي ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .[19]

طفولة أبي عبد الله وتقبيل النبي (ص) له

حينما كان المظلوم أبو عبد الله (ع) طفلاً في أيامه الأولى أرضعه النبي (ص) من إبهامه ، ثم رده إلى أمه الزهراء (ع) .[20]

أمضى سيد الشهداء طفولته الأولى مع جده النبي الأكرم (ص) ، فكان النبي يلبسه بنفسه ثيابه ،[21] وكان له اهتمام خاص بتقبيله كلما رآه ، ولم تكن قبلات النبي (ص) لحفيده الحسين كقبلاته لغيره من الأطفال ، فمن المعروف عادة أن الطفل يقبَّل على وجهه وخده ، أما الحسين فقد كان النبي يقبله تارة على وجهه وأخرى في نحره ،[22] وثالثة يرفع قميصه عن موضع قلبه ليقبله عليه ،[23] وأحياناً كان يقبله في شفتيه وأسنانه،[24] وأخرى على جبينه ، ونجد في الروايات أنه كان يقول لعلي (ع) : يا علي أمسكه .

---

[19] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 34 ، ص 248 .

[20] - مدينة المعاجز ، مصدر سابق ، ص 448 ، وإليك الرواية :

عن أبي عبد الله ، عليه السلام ، في حديث قال :

لم يرضع الحسين ، عليه السلام ، من فاطمة ، عليهما السلام ، ولا من أنثى ، كان يؤتى به النبي - صلى الله عليه وآله - فيضع إبهامه في فيه ، فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث ، فنبت لحم الحسين - عليه السلام - من لحم رسول الله - صلى الله عليه وآله - ودمه . ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم والحسين بن علي - عليهم السلام .(المترجم)

[21] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 34 ، ص 271 . وإليك النص :

عن أم سلمة أنها قالت : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلبس ولده الحسين ،عليه السلام، حلة ليست من ثياب الدنيا فقلت له : يا رسول الله ما هذه الحلة ؟

فقال : هذه هدية أهداها إلي ربي للحسين ،عليه السلام، ، وإن لحمتها من زغب جناح جبرئيل ، وها أنا ألبسه إياها وأزينه بها ، فإن اليوم يوم الزينة وإني أحبه . (المترجم)

[22] - كلمات الإمام الحسين (ع)، مصدر سابق ، ص 33 عن ذخائر الأفهام :

عن ابن عباس ، قال : صلينا مع رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، ذات يوم صلاة الصبح في مسجده الآن، فلما فرغنا من التعقيب التفت إلينا بوجهه الكريم كأنه البدر في ليلة تمامه ... وأجلس الحسن ، عليه السلام ، على فخذه الأيمن والحسين ، عليه السلام ، على فخذه الأيسر ، فقال : بأبي أبوكما ، وبأمي أمكما ، وقبَّل الحسن عليه السلام في فمه الشريف ، وأطال الشم بعدها ، و قبل الحسين عليه السلام في نحره بعد أن شمه طويلا ، فتساقطت دموعه ، وبكى وبكينا لبكائه ، ولا علم لنا بذلك . (المترجم)

[23] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 313 . ولعله يشير إلى هذا النص :

... وسمع عبد الله بن عمر بخروجه ، فقدم راحلته ، وخرج خلفه مسرعا فأدركه في بعض المنازل ، فقال :

أين تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : العراق ، قال : مهلا ارجع إلى حرم جدك ، فأبى الحسين عليه ، فلما رأى ابن عمر إباءه قال : يا أبا عبد الله اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، يقبله منك ، فكشف الحسين ، عليه السلام ، عن سرته ، فقبلها ابن عمر ثلاثا ، وبكى . (المترجم)

[24] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 63 ، ص 312 . وإليك نص الرواية :

عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي ، صلى الله عليه وآله ، وأبو بكر وعمر والفضل بن العباس وزيد بن حارثة وعبد الله بن مسعود إذ دخل الحسين بن علي ، عليه السلام ، فأخذه النبي ، صلى الله عليه

فيمسكه علي (ع) ليقبله النبي ويبكي ، فيسأله علي (ع) :

لمَ تبكي ، يا رسول الله ؟ فيجيبه : أقبّل موضع السيوف .[25]

وكذلك نجد فيها أن النبي (ص) على وقاره المعهود كان يركض وراءه في بعض الأزقة حتى إذا أمسك به أخذ يقبل شفتيه ،[26] ثم يفتحهما ، ويقبله على أسنانه[27] .

لست أدري ما الحكمة في هذا النوع من القبل ، ربما كان يتراءى للنبي (ص)

مجلس ابن زياد ومجلس يزيد حيث سيعلو قضيب الخيزران شفتيه وأسنانه .[28]

عطف النبي (ص) على الحسين (ع) :

بينما كان النبي يخطب على المنبر ذات يوم ، وإذا بالحسين يعدو إليه ، فوطأ في ثوبه فسقط وبكى ، فنزل النبي عن المنبر فضمه إليه وقال :

قاتل الله الشيطان ، إن الولد لفتنة ، والذي نفسي بيده ما دريت أني نزلت عن منبري .[29]

ومرة أخرى كان النبي (ص) في المسجد يصلي ، يقول الرواي : فرأيت رسول الله (ص) يطيل في سجوده ، فرفعت رأسي فرأيت الحسين على كتفه ، فلما قضى رسول الله، صلى الله عليه [وآله] وسلم ، الصلاة قال الناس : يا

وآله ، وقبله ثم قال : حزقة حزقة ، ترق عين بقة ، ووضع فمه على فمه وقال : اللهم ، إني أحبه ، فأحبه وأحب من يحبه . (المترجم)

[25] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 261 . وقد ورد فيه النص هكذا :

عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، إذا دخل الحسين ، عليه السلام ، اجتذبه إليه ، ثم يقول لأمير المؤمنين ، عليه السلام : أمسكه . ثم يقع عليه ، فيقبله ويبكي ، فيقول : يا أبه ، لم تبكي ؟ فيقول : يا بني ، أقبل موضع السيوف منك ، وأبكي . قال : يا أبه ، وأقتل ؟ قال : إي والله ، وأبوك وأخوك وأنت . قال : يا أبه ، فمصارعنا شتى ؟ قال : نعم ، يا بني . قال : فمن يزورنا من أمتك ؟ قال : لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي . (المترجم)

[26] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 34 ، ص 271 . حيث روى عن يعلى العامري أنه خرج من عند رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، إلى طعام دعي إليه ، فإذا هو بحسين يلعب مع الصبيان ، فاستقبل النبي ، صلى الله عليه وآله ، أمام القوم ثم بسط يديه ، فطفر الصبي ههنا مرة وههنا مرة ، وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه ، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه ، والأخرى تحت قفاه ، ووضع فاه على فيه وقبله . ثم قال : حسين مني وأنا منه ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط . (المترجم)

[27] - ذخائر العقبى ، أحمد بن عبدالله الطبري ، مكتبة القدسي ، 1356 هـ ، ص 125 . حيث ورد فيه : ... وفى ذكر محبته للحسين انه قال له افتح فاك وقبله ... (المترجم)

[28] - المصدر السابق ، ص 126 حيث جاء فيه :

عن أنس بن مالك قال لما قتل الحسين بن على جئ برأسه إلى ابن زياد فجعل ينكث بقضيب على ثناياه، وقال : إن كان لحسن الثغر. فقلت في نفسي : لاسوءنك . لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل موضع قضيبك من فيه . (المترجم)

[29] - مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب ، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، مطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1376 هـ. ق. ج 3 ، ص 226 .

رسول الله ، إنك سجدت في صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحى إليك .

قال (ص) : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته .[30]

في هاتين الحالتين سر وحكمة أراد النبي (ص) بيانهما ، وأنا هنا أقول :

يا رسول الله ، لم تحتمل رؤية الحسين متعثراً في المسجد واقعاً على الأرض ، ولا قبلت أن يقع عن كتفك إلى الأرض ، فما هو حالك لو رأيته في صحراء كربلاء وقد نبت في قلبه سهم ذو ثلاث شعب ، أو رأيت ذلك اللعين وقد ضربه بالرمح " فسقط الحسين (ع)" عن ظهر جواده إلى الأرض ، ولم يقع على يديه ، بل "على خده الأيمن"، وقال :

بسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله .

لعل النبي (ص) كان يريد أن يشير إلى هذه الصورة التي تلاها بعد ساعة فصل رأسه عن بدنه .

علاقة النبي بالإمام الحسين (ع)

كانت محبة النبي لسيد الشهداء محبة فائقة ، تنقل عائشة أنه كان ،عليه السلام، ذات يوم في حجر النبي ، صلى الله عليه وآله ، يلاعبه ويضاحكه ، فقالت :

يا رسول الله ، ما أشد إعجابك بهذا الصبي !

فقال لها : ويلك ، وكيف لا أحبه ولا أعجب به ، وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني ، أما إن أمتي ستقتله ، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي .

قالت : يا رسول الله ، حجة من حججك ؟

قال : نعم ، حجتين من حججي .

قالت : يا رسول الله ، حجتين من حججك ؟

قال : نعم ، وأربعة .

---

[30] - سنن النسائي ، النسائي ، ج 2 ، ص 229 . وإليك نص الرواية :

أخبرنا عبد الرحمان بن محمد بن سلام قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أنبأنا جرير ابن حازم قال : حدثنا محمد بن أبى يعقوب البصري عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في إحدى صلاتي العشاء ، وهو حامل حسناً أو حسيناً ، فتقدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فوضعه ، ثم كبر للصلاة فصلى ، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها ، قال أبي : فرفعت رأسي ، وإذا الصبي على ظهر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ساجد ، فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك .

قال : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته . (المترجم)

فلم تزل تزاده ، ويزيد ، ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، بأعمارها .[31]

مصيبة جبين أبي عبدالله (ع)

بما أننا لا نستطيع أن نكون مثل رسول الله في العبادة فلنتشبه به في إقامة عزاء أبي عبدالله (ع) على الأقل ، ولنتعلم من أعمال النبي (ص) في تقبيله جبينه (ع) ، فبعد أن ضرب بالسيف بمدة أوقف فرسه ، وهو وحيد ، ليستريح قليلا ، فأخذ جماعة يرشقونه بالحجارة ، فوقع حجر في محل تقبيل رسول الله (ص) ، أي في جبين الحسين (ع) ، فسال الدم منه .

وبعدما أصابه السهم المثلث في قلبه المبارك سقط على جبينه ، سلام الله عليه .

بل إنه سقط (ع) بعد ذلك على جبينه في أرض كربلاء أكثر من مرة :

إحداها : عندما أغار أشرار الكوفة على حرمه ، حيث حاول (ع) ، على ما به من ضعف، أن ينهض ، وهو ينظر إلى الحرم ، ولكنه لشدة وهنه لم يتمكن من ذلك ، فهوى إلى الأرض على جبينه .

والأخرى : عندما ألحت الغيرة الحسينية عليه لينهض ، فاستند على أصبعين على أرض كربلاء الحارة ، ولكنه سقط مرة أخرى على جبينه على أثر الضعف الشديد الذي أصابه ، وبقي إلى آخر نفس موجها نظره الشريف إلى الخيام .

أعظم مصائب الحسين (ع) على قلب رسول الله (ص)

لكل إمام من الأئمة ولرسول الله (ص) حالة من حالات أبي عبد الله وكيفية

من كيفيات مصيبته تعد أعظم من غيرها . فتعالوا لنرى ما هي أعظم مصيبة على قلب النبي، وهو أفضلهم ، عليهم جميعا سلام الله .

روي عن عبد الله بن عباس ، رضي الله عنه ، أنه قال :

لما اشتد برسول الله ، صلى الله عليه وآله ، مرضه الذي مات فيه ، وقد ضم الحسين (ع) إلى صدره ، يسيل من عرقه عليه ، وهو يجود بنفسه ، ويقول :

مالي وليزيد ، لا بارك الله فيه ، اللهم العن يزيد .

---

[31] - كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه ، تحقيق جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة ، 1417 هـ. ق. قم ، ط.1، ص 144 .

ثم غشي عليه طويلاً ، وأفاق وجعل يقبل الحسين ، وعيناه تذرفان ، ويقول :

أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله ، عز وجل .[32]

لماذا كان إهداء رأس الإمام الحسين (ع) ليزيد أعظم المصائب في نظر رسول الله (ص) ؟

لئن كان جسد سيد الشهداء ملقى على ثرى كربلاء مسلوباً وبلا كفن تحت الشمس المحرقة ، فقد كان رأسه في مجلس الخمر بين يدي يزيد الدعي في طشت من الذهب .

ولئن كانت الجروح العديدة من أثر ضربات السيوف والحراب والسهام تملأ جسده الشريف في كربلاء ، فقد كانت طعنات وجراح اللسان التي كان يصدرها يزيد بلسانه النجس الخبيث أكثر إيلاماً .

إن قطع رأس أبي عبد الله (ع) يشكل مصيبة كبيرة ، ولكن دخول حرمه (ع) حاسرات على يزيد ، وهو في حالة السكر يضحك ، ويستهزأ ، يشكل مصيبة أكبر .

ولنصرف نظرنا الآن إلى تعداد النكات الموجودة في هذه المصيبة العظمى الداخلة على قلب رسول الله (ص) التي أجرت دموعه الشريفة ، فمنها :

1 – مصيبة وضع رأس أبي عبد الله (ع) بين يدي يزيد شارب الخمر .

2 – نظر ذلك الكافر إلى الرأس الشريف .

3 – سرور يزيد الملعون من رؤية رأس أبي عبد الله (ع) .

4 – تبسمه وضحكه وهو ينظر إلى الرأس .

5 – تقليبه الرأس الشريف بيديه النجستين ذات اليمين وذات الشمال .

6 – استهزاؤه بالحسين حين قال له :

رحمك الله ، يا أبا عبدالله ، لقد كنت حسن الثغر ![33]

7 – نظره إلى محاسن الحسين (ع) وقوله : أسرع إليك الشيب ، يا أبا عبدالله .

8 – المصيبة الأكبر من كل هذا ، ما هي في ظنكم ؟

ضربه بالخيرزان على أسنانه ؟

لا ، أعظم من ذلك ، إنها نظره إلى من حوله من أهل المجلس وقوله :

---

[32] - مثير الأحزان، ابن نما الحلي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1950 ، ص 12 .

[33] - المصدر السابق ، ص 72 ، وفيه :

ورويت أن أنس بن مالك قال : شهدت عبيد الله بن زياد ، وهو ينكت بقضيب على لسان الحسين ، ويقول: إنه كان حسن الثغر . فقلت : أمَ ، والله ، لأسوئنك ، لقد رأيت رسول الله (ص) يقبل موضع قضيبك من فيه .

إن هذا كان يفخر علي ويقول : " أبي خير من أب يزيد ، وأمي خير من أمه ، وجدي خير من جده ، وأنا خير منه ، فهذا الذي قتله " فأما قوله بأن أبي خير من أب يزيد ، فلقد حاجَّ أبي أباه ، فقضى الله لأبي على أبيه ، وأما قوله بأن أمي خير من أم يزيد، فلعمري ، لقد صدق ، إن فاطمة بنت رسول الله خير من أمي ، وأما قوله : جدي خير من جده ، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول بأنه خير من محمد ، وأما قوله بأنه خير مني فلعله لم يقرأ هذه الآية " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ".[34]

ولكن حينما سمعت زينب هذه الكلمة قالت له :

فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : **{ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين .}**[35]

وربما كان شروع الرأس الشريف بتلاوة القرآن في هذه اللحظة . وحينما رأى يزيد أنه أخزي ، وأبكت ، نظر إلى الرأس ، وقال : حتى بعد موتك ، يا أبا عبد الله ، لا تتركني وشأني ، ثم رفع الخيزرانة وبدأ يضرب طرف الطشت كي لا يسمع أحد صوت قراءة القرآن ، فلما لم يفلح أخذ يضرب الثغر الشريف .

إظهار سول الله (ص) المحبة لصحاب الحسين (ع)

يحكى أنه ذات يوم ، وبينما كان رسول الله يسير في أحد أزقة المدينة إذ لقي غلاما ذا أربعة عشر عاما فقبله ولاطفه ، فسأله بعض الصحابة : لماذا لاطفت هذا الغلام ، يا رسول الله ؟

فقال : رأيته يقبل قدم الحسين ، لهذا عطفت عليه ، وقبلته . وقد أخبرني جبرائيل أنه يكون من أنصار الحسين في كربلاء .

نعم ، ذلك الغلام هو زهير بن القين الذي قال للحسين (ع) في كربلاء :

والله ، لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلدين إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها .[36]

وهو الذي قال له ليلة العاشر :

والله ، لوددت أني قتلت ، ثم نشرت ، ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة ، وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك .[37]

---

[34] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 54 ، ص 131 .

[35] - اللهوف في قتلى الطفوف ، السيد ابن طاووس الحسني ، مطبعة مهر ، قم ، 1417 هـ . ق. ط. 1 ، ص 105 .

[36] - تاريخ الطبري ، الطبري ، تحقيق نخبة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ج 4 ، ص 305 .

[37] - الارشاد ، الشيخ المفيد ، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، دار المفيد ، قم ، ج 2 ، ص 92 .

نحر أبي عبد الله (ع)

أحد أنواع القتل الذي أصابت أبا عبد الله (ع) في صحراء كربلاء النحر ، وقلما تقرأ مصيبة النحر في مجالس العزاء . والمنحر هو لبة العنق ، فعندما يريدون ذبح الجمل لا يقطعون رأسه ، وإنما يدخلون الخنجر أو السيف أو الرمح في منحره ، ثم ينزعونها ليخرج الدم منه .

وامصيبتاه ! لقد نحروا أبا عبد الله في كربلاء ، ففار دمه الشريف ، يعني أنهم طعنوه بالحربة في ذات الموضع الذي طالما قبله رسول الله (ص) وهو يبكي ، وحينما كانوا يسألونه عن سبب بكائه كان يقول : أقبل موضع السيوف .

وروي أنه بينما كان رسول الله (ص) يخطب الناس على المنبر ، خرج حسين بن علي فوطئ في ثوب كان عليه فسقط ، فبكى ، فنزل رسول الله (ص) عن المنبر، وقبله وأجلسه على ساعده . فقالوا له : يا رسول الله ، لشد ما تحب هذا الطفل ، ولم نرَ من يحب طفله بهذا القدر ؟ فقال لهم : إن الله قد أمرني به [38].

منزلة الإمام الحسين عند النبي (ص) والإمام الصادق (ع)

روي أن النبي ، صلى الله عليه وآله ، قام ذات يوم على المنبر وقد أخذ بيد الحسين بن علي ، عليهما السلام ، وهو يقول :

يا أيها الناس ، هذا الحسين بن علي فاعرفوه ....[39]

ونسأل : ما الذي كان النبي (ص) يقصده بهذا القول ؟ لا بد أن فيه حكمة ما ، فما هي يا ترى ؟

ربما تكون الإشارة إلى أنه (ع) سيقف في صحراء كربلاء يعرف الناس بنفسه ،

فلا يعرفونه ، بل يجترأون عليه.

إنه يريد أن يعرفهم بمنزلته ليكون ذلك حجة عليهم .

قال ابن أبي يعفور : قلت لأبي عبد الله ،عليه السلام :

دعاني الشوق إليك أن تجشمت إليك على مشقة .

فقال لي : لا تشكُ ربك ، فهلا أتيت من كان أعظم حقا عليك مني .

فكان من قوله : "فهلا أتيت من كان أعظم حقا عليك مني" ، أشد علي من قوله : لا تشكُ ربك .

قلت : ومن أعظم علي حقاً منك ؟

---

[38] - سبل الهدى والرشاد ، الصالحي الشامي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، 1414 ، بيروت ، ط. 1 ، ج 9 ، ص 370 ، باختلاف غير يسير .

[39] - الأمالي ، الشيخ الصدوق ، مؤسسة البعثة ، 1417 هـ . ق. قم ، ط.1 ، ص 693 .

قال : الحسين بن علي ، عليهما السلام ، ألا أتيت الحسين ،عليه السلام ، فدعوت الله عنده ، وشكوت إليه حوائجك .[40]

تربة كربلاء في يد علي (ع)

اللهم اجعل عاقبة أمورنا خيراً ، وأخرجنا من الدنيا بيض الوجوه بحب أهل بيت الحسين .

كان هرثمة أحد أصحاب أمير المؤمنين (ع) ، ثم ابتلي في أخر عمره بالشقاء ،

فكان في كربلاء مع جيش عمر بن سعد ، وقد روى عن أمير المؤمنين (ع) قال:

غزونا مع علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، صفين ، فلما انصرفنا نزل كربلاء ، فصلى بها الغداة ، ثم رفع إليه من تربتها فشمها ، ثم قال :

واهاً لك ، أيتها التربة ، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب .

لم يفهم هرثمة مراد الأمير ، حتى كان في البعث الذين بعثهم عبيد الله ابن زياد، قال : فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث ، فجلست على بعيري ، ثم صرت إلى الحسين ، عليه السلام ، فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين ، عليه السلام ، فقال : معنا أنت أم علينا ؟

فقلت : لا معك ولا عليك ، خلفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد .

قال : فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً ، ولا تسمع لنا صوتاً ، فوالذي نفس الحسين بيده ، لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ، فلا يعيننا إلا كبه الله لوجهه في جهنم .[41]

روحي لغربتك الفداء ، يا أبا عبد الله .

بكاء أمير المؤمنين لمصيبة الحسين في كربلاء

عن ابن عباس ، قال : كنت مع أمير المؤمنين ،عليه السلام، في خروجه إلى صفين ، فلما نزل بنينوى ، وهو شط الفرات ، قال بأعلى صوته :

يا بن عباس ، أتعرف هذا الموضع ؟

فقلت له : ما أعرفه ، يا أمير المؤمنين .

فقال علي ،عليه السلام، : لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

---

[40] - كامل الزيارات ، مصدر سابق ، ص 314 .

[41] - الأمالي ، الشيخ الصدوق ، مصدر سابق ، ص 199 .

قال : فبكى طويلا حتى اخضلت لحيته ، وسالت الدموع على صدره ، وبكينا معا، وهو يقول :

أوِّه ، أوِّه ، مالي ولآل أبي سفيان ، مالي ولآل حرب ، حزب الشيطان ، وأولياء الكفر ، صبراً ، يا أبا عبد الله ، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم .

ثم دعا بماء ، فتوضأ وضوءه للصلاة ، وصلى ما شاء الله أن يصلي ، ثم ذكر نحو كلامه الأول ، إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ، ثم انتبه فقال :

يا ابن عباس .

فقلت : ها أنا ذا .

فقال : ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي ؟

فقلت : نامت عيناك ، ورأيت خيراً ، يا أمير المؤمنين .

قال : رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض ، قد تقلدوا سيوفهم ، وهي بيض تلمع ، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط ، وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه ، يستغيث فلا يغاث ...

ثم بكى بكاء طويلا ، وبكينا معه حتى سقط لوجهه ، وغشي عليه طويلا ...[42]

وكذلك سقط ولده الحسين يوم عاشوراء على الأرض ، فوضع الشمر الخنجر في حلقه ، فرأى أنه لا يفعل فيه ، لأن ذلك هو الموضع الذي كان النبي وفاطمة يقبلانه فيه ، ولكن ماذا فعل في آخر الأمر ، هل أقول لكم أم لا أقول؟

لقد قلب جسده الشريف على وجهه ، واحتز رأسه من القفا .

روضة سيد الشهداء في الدنيا هي دار ضيافته (ع)

هذه أيام محرم ، أيام موعظة سيد الشهداء ورثاء سيد الشهداء . المقدمة سيد الشهداء ، وذو المقدمة سيد الشهداء ، وكل شيء فيه سيد الشهداء ، ونحن في هذا العالم لم نتخذ لنا أصدقاء في العالم الآخر ، ولم نبنِ لنا دوراً هناك ، ونحن لكثرة ذنوبنا ومعاصينا غرباء وفقراء وأيامى ، فتعالَوا لنقوم بعمل حسن عسى أن يقبلنا الحسين في دار ضيافته في ذلك العالم .

يا أيها المشردون والأيامى ، للحسين تسع دور للضيافة ، ثلاث في الدنيا وثلاث في البرزخ وثلاث في الآخرة . إحدى دور ضيافته في الدنيا مجالس العزاء والمصيبة وأماكن البكاء عليه ، فعلينا بالمشاركة في إقامة هذه المجالس

---

[42] - المصدر السابق ، ص 694 .

في روضته المباركة وترغيب الآخرين في المشاركة فيها ، إذ لا مظلوم كسيد الشهداء في عالم المظلومين ، ولا وحيد كسيد الشهداء ولا مكروب بلا نصير كسيد الشهداء . إن سيد الشهداء هو المظلوم المطلق والمحروم المطلق .

أرجو من الله أن يتقبل منا هذا القليل ، وأن يكتبنا جميعا في الذاكرين لسيد الشهداء ، سلام الله عليه ، وأن يمن علينا بنعمة مجاورة أبي عبد الله في دار الآخرة بفضله وكرمه .

اللهم ارزقنا شفاعة الحسين يوم الورود ، وثبت لنا قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين ، عليه السلام .

بكاء أمير المؤمنين لمصائب أبي عبد الله (ع)

بكى أمير المؤمنين (ع) في عمره الشريف عدة مرات :

إحداها : بعد انتهاء معركة أحد واستشهاد عمه الحمزة ، فقد حزن رغم مقامه الرفيع على فوت الشهادة ، وفكر في أنه إن لم يختم عمره الشريف بالشهادة فماذا ستكون عاقبته ؟

ثانيها : عندما بكى في أواخر عمره على أبي عبد الله (ع) ، فقد امتنع قبل شهادته بسنة عن الخضاب ، وعندما سئل : لماذا لا يخضب رأسه ولحيته الكريمة أجاب : أنتظر خضاباً آخر .

صعد يوماً إلى المنبر للموعظة ، فنظر إلى ولده الحسن ، وقال له : كم مضى من شهر رمضان ؟

قال (ع) : مضى سبعة عشر يوماً .

ثم نظر إلى ولده الحسين (ع) وسأله: كم بقي من شهر رمضان ؟

فأجابه (ع) : ثلاثة عشر يوماً .

فأخذ بالبكاء ،وقال :

سرعان ما سيتحرك أشقى هذه الأمة . وليس بكائي لمقتلي ، ولكن بكائي لمقتل ولدي الحسين حيث سيقتل في كربلاء ، وهو لا معين له ولا ناصر ، فيقتل غريباً وحيداً فريداً عطشاناً .

انظروا عظمة هذه المصيبة التي لأجلها بكى المولى رغم غربته ومظلوميته . بكى لغربة وعطش ووحدة ولده الحسين قبل شهادته .

ثالثها : عندما مر في كربلاء في طريقه إلى صفين ، فقد بكى على أبي عبد الله (ع) على نحو قال عنه ابن عباس : أغمي عليه ، وسقط عن فرسه ، وقال : يا أبا عبد الله، صبراً صبراً .

بكاء المولى علي (ع) على الحسين (ع) قبل شهادته

قال علي ، عليه السلام :

بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة ، والله كأني انظر إلى الوحوش مادةً أعناقها على قبره من أنواع الوحش ، يبكونه ، ويرثونه ليلا حتى الصباح ، فإذا كان ذلك فإياكم والجفاء .[43]

يفهم من هذا النص أن الحسين (ع) قبل أن يدفن كانت تبكيه طيور السماء نهاراً ، وتبكيه وحوش الفلوات ليلاً ، وذلك لأنه في أوائل أيام شهادته لم يكن له زوار ، فقد مُنع زواره بالحديد والنار من الوصول إليه ، وقيدوا بسلاسل الأسر والأغلال ، ولكي لا يبقى بلا زوار كانت تزوره وحوش الفلوات وطيور السماء .

وممن بكى الحسين (ع) الملائكة ، وذلك إن أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي ، صلوات الله عليه ، فلم يؤذن لهم في القتال ، فرجعوا في الاستئذان ، وهبطوا وقد قتل الحسين ،عليه السلام، ، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة ...[44]

فعملهم الآن البكاء على الحسين ، لا يأكلون ولا ينامون . إن لكل ملك عبادة خاصة ، وعبادة هؤلاء البكاء على مظلوم كربلاء ليلاً ونهاراً إلى يوم القيامة . فتعالوا لننوح مع هؤلاء الملائكة قليلاً ، ونبكي معهم على غربة وعطش أبي عبد الله (ع) .

الزهراء (ع) صاحبة عزاء سيد الشهداء (ع)

مصيبة سيد الشهداء أشد وأقسى على قلب الزهراء من جميع مصائبها ، وكما كانت في الدنيا صاحبة عزاء سيد الشهداء كذلك اليوم في دار الآخرة تقيم العزاء لولدها المظلوم أبي عبد الله (ع) .

فمع أن دار الآخرة دار سرور وسعادة ودار نشاط حيث يكون الأنبياء والأوصياء والمؤمنون كلهم في سعادة وسرور إلا هذه المظلومة المعصومة ، فإنها في الجنة مغمومة محزونة ، فيحزن لحزنها الأنبياء والملائكة .

ولبكاء الزهراء في الآخرة كيفية خاصة حيث ورد أن معها ألف نبي وألف صدِّيق وألف شهيد ، ومن الكروبيين ألف ألف يسعدونها على البكاء ، وأنها لتشهق شهقة ، فلا يبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها ، وما تسكن حتى يأتيها النبي ، صلى الله عليه وآله ، فيقول :

يا بنية ، قد أبكيت أهل السماوات ، وشغلتهم عن التسبيح والتقديس ، فكفِّي حتى يقدسوا ....[45]

---

[43] - كامل الزيارات ، مصدر سابق ، ص 165 .
[44] - الأمالي ، الشيخ الصدوق ، مصدر سابق ، ص 737 .
[45] - كامل الزيارات ، مصدر سابق ، ص 178 .

نعم ، يكفي أن تنظر هذه المظلومة كل يوم إلى قبر ولدها الحسين في صحراء كربلاء نظرة واحدة لتنوح وتبكي .لا بد أنها تفعل ذلك كل يوم ، فيستمر بكاؤها ويدوم. تعالوا لنتصور ما الذي يمكن أن تراه في صحراء كربلاء ، وما الذي يتمثل لنظرها المبارك في تلك الساحة ؟

ربما ترى ثمانية عشر رجلاً من أولادها وأولاد علي مستشهدين أو مجروحين أو مقطعين إرباً إرباً أو صرعى بلا رؤوس ، مجموعة في وسط الصحراء ومجموعة في المخيم .

وربما يتمثل لها مشهد آخر يحملها على البكاء الشديد كما يحمل أبا عبد الله أيضاً على البكاء ، وهو هجوم الأعداء على خيام أهل بيت الحسين ، ولا معين لهن .

مطالبة الزهراء بدم الحسين يوم المحشر

جاء في رواية عن النبي (ص) أنه قال :

إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة ، عليها السلام ، في لمة من نسائها ، فيقال لها :

ادخلي الجنة .

فتقول : لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي .

فيقال لها : انظري في قلب القيامة .

فتنظر إلى الحسين ،عليه السلام ، قائما ، وليس عليه رأس ، فتصرخ صرخة ، واصرخ لصراخها ، وتصرخ الملائكة لصراخها... [46]

ثم يؤتى بقتلة الحسين للحساب .

بكاء الزهراء على أبي عبد الله (ع)

لشهر رمضان مقام خاص عند الله ، عز وجل ، حيث يأذن ، تبارك وتعالى ،

للملائكة والروح في ليلة القدر بالنزول إلى الأرض ليقوموا ببعض العبادات التي لا تتيسر لهم في السماء . وما يستأذنون له أيضاً النزول إلى الأرض لنيل فيض زيارة سيد الشهداء في كربلاء وسماع نوح وأنين الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ، سلام الله عليها، حيث ورد أن الزهراء (ع) ومنذ أن قتل الحسين (ع) إلى اليوم وإلى يوم القيامة تحضر كل يوم إلى كربلاء ، فتصيح صيحة واحدة وتبكي .

---

[46] -ثواب الأعمال ، الشيخ الصدوق ، منشورات الرضي ، 1368 هـ .ش. قم ، ط.2 ، ص 217 .

ولهذه الصيحة أسرار ، ولعل أحد هذه الأسرار أن نداء العطش وصراخ أيتام أبي عبد الله وأسرى حرمه لا يزال إلى الآن يصك الأسماع .

(شعر فارسي)

نداء الظما من أولئك القتلى لم يزل يصل إلى العيوق من صحراء كربلاء

بكاء النبي آدم (ع) على سيد الشهداء

لا يمكننا أن نبكي على خطايانا الكثيرة خوف الحق كما يفعل الأنبياء ، فعلى الأقل تعالوا لنبكي على المظلوم الذي بكاه جميع الأنبياء والأوصياء منذ آدم حتى الخاتم .

أول من بكى على الحسين (ع) هو النبي آدم (ع) وذلك قبل أن يسمع باسم كربلاء وبمقتل سيد الشهداء وبسائر المصائب التي جرت عليه ، فعندما جاءه جبريل الأمين ليلقنه الأسماء المباركة لأصحاب الكساء الخمسة ، والتي أقسم على الله بها فتاب عليه ، "فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه ، وقال :

يا أخي جبرئيل ، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي ؟

قال جبرئيل : ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب ..."[47]

رب العالمين يخبر بشهادة أبي عبد الله (ع)

ورد عن الله ، عز وجل ، صحيفة شريفة إلهية دوِّن فيها تكليف الأئمة الطاهرين (ع) جميعاً ، وقد انتقلت هذه الصحيفة من أحدهم إلى الآخر يداً بيد ، وهي الآن عند إمام الزمان (عج) . ومما دوِّن فيها تكليف سيد الشهداء (ع) ، حيث ورد أن فيها :

يا حسين ، اخرج بقوم إلى الشهادة ، فلا شهادة لهم إلا معك ، واشرِ نفسك لله ، عز وجل .[48]

وفي نص آخر أن فيها : قاتل وتقتل .

يعني : يا حسين ، قاتل الكفار ، وسوف تقتل أنت ومن معك ...[49]

الفرق بين مباهلة الرسول (ص) ومباهلة الإمام الحسين (ع)

لا بد أنكم سمعتم بقصة مباهلة رسول الله مع نصارى نجران ، ومختصرها أن رسول الله (ص) أرسل بعض الأفراد لدعوة جماعة من نصارى

---

47 -بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 245 .

48 - الكافي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 280 .

49 - الحر العاملي ، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ، مكتبة المفيد ، قم ، ص 216 .

العرب إلى الإيمان ، فأبوا . ثم قرروا في نهاية الأمر أن يرسلوا سبعين عالماً من علمائهم لبحث الأمر مع النبي (ص). فلما تشرفوا برؤيته شاهدوا جميع العلامات التي وردت في أخبارهم وكتبهم تتحدث عن علامات نبي آخر الزمان ، ومع ذلك لم يتمكنوا من التخلص من حب الدنيا ، ويؤمنوا به (ص) حتى نزل عليه قوله تعالى :

{ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .}[50]

واتفقوا على أن يغدوا في اليوم التالي إلى خارج المدينة للمباهلة .

وضع رسول الله عباءته عليه ، وأدخل فيها علياً والزهراء والحسن والحسين ، عليهم السلام ، (ولذا كانوا يسمون بأهل العبا) ، فنزل جبرائيل بالآية المباركة :

{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .}[51]

وفي اليوم التالي غدا رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، محتضناً الحسين ، آخذا بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها .

ويروى أن الأسقف الأكبر قال لهم :

أرى وجوهاً لو أقسمت على الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله ، فلا تبتهلوا.[52]

فقبلوا دفع الجزية وامتنعوا عن المباهلة .

لقد قام الحسين (ع) بمباهلة أيضاً ، ولكن لا مع النصارى بل مع من هم في الظاهر مسلمون . رضا النصارى بالمباهلة كان بهدف رد خطر النبي عنهم ليدعهم على كفرهم ، ولا يحاربهم . أما مباهلة الحسين (ع) فكانت ليدَعوه بحاله ، ويتركوه يذهب في الصحاري ، أو يلتجأ إلى الجبال .

وهناك فرق آخر بين المباهلتين ، فقد صمم النصارى في بداية الأمر على لعن النبي وأهل بيته ، والدعاء عليه بالهلاك ، ولكن ما الذي صمم عليه جيش الكوفة ، هل يريد لعن تلك الوجوه المنيرة ، في الحقيقة إن جيش الكوفة شهَر السيوف بوجه رسول الله وعلي والزهراء ، عليهم السلام ، وإن لم يكن رسول الله حاضراً في كربلاء فقد كان شبيهه علي الأكبر حاضراً .

وإن لم يكن علي حاضراً فقد كان نائبه أبو الفضل العباس حاضراً .

وإن لم تكن الزهراء حاضرة فقد كانت نائبتها زينب حاضرة .

---

[50] - سورة آل عمران ، آية 61 .

[51] - سورة الأحزاب ، آية 33 .

[52] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج21 ، ص277 .

وإن لم يكن الحسن موجوداً فنائبه ولده القاسم بن الحسن كان موجوداً إلى جنب عمه (ع) .

فلم يزل يباهلهم حتى بقي وحيداً ، فقال لهم ما مضمونه :

الآن ، وقد قتلتم أصحابي وأنصاري ، فدعوني أخرج هؤلاء الحرم من ساحة القتال .

فأبوا ، ومنعوه من ذلك ، فأراد إتمام الحجة عليهم فقال لهم :

ما دمتم تطلبونني ، وتريدون قتلي وسفك دمي ، فاسقوا أهل هذا البيت قطرة من الماء ، فإنهم عطاشى .

فلم يقبلوا ، بل قالوا له كلاماً أشد إيلاماً من النصال والحراب .

بقي شيء ، وهو أنه قام (ع) بمباهلة أخيرة حيث دخل الخيمة فوضع على رأسه عمامة رسول الله ، وارتدى ثياب رسول الله عسى أن يخجلوا منه (ص) ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

وفي نهاية الأمر جاء بطفله الرضيع ذي الستة أشهر الذي ازرقت شفتاها الحمراوان من العطش ، وقال لهم :

اسقوا هذا الطفل قطرة من الماء ، فإن خشيتم أن أشرب منه فخذوه إليكم ، واسقوه أنتم .

فسقوه سهماً قاتلاً . ثم انتهت المباهلة بأن سقط على الأرض عياء من شدة الضرب بالسيف ، فخجل بعضهم ، ولم يجهزوا عليه بسيوفهم ، لماذا ؟

لأنه لم يبق في جسمه موضع لسيف أو خنجر أو رمح ...

رمضان ومحرم

أخبر رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) بأنه ستخضب لحيته من دم رأسه في شهر رمضان.

وأخبر علي الحسينَ ، عليهما السلام ، بأن دماءهما التي ستراق من رأسيهما في محراب مسجد الكوفة وفي أرض كربلاء ستخضب لحيتيهما .

نعم ، لقد خضبت لحية أمير المؤمنين (ع) من لون دم رأسه ، أما لحية أبي عبد الله (ع) فقد خضبت بلون عدد من الدماء :

أحدها : دم قلبه الشريف حين أصابه سهم اللعين حرملة ذي الثلاث شعب ، ففار دمه على وجهه .

والآخر : دماء علي الأكبر والقاسم وأبي الفضل حين وضع وجهه الشريف على وجوههم المدماة .

والثالث : دم الطفل الرضيع الذي شخب على وجهه الكريم حين سقط سهم حرملة في عنقه فذبحه من الوريد من الوريد .

الثامن والعشرون من شهر صفر ويوم عاشوراء

هذه الأيام أواخر أيام شهر صفر ، وهي أيام مصيبة آل الله ، ينبغي عدها بأجمعها أيام مصيبة ، وذلك لأن فيها يوم المصيبة العظمى ، مصيبة شهادة رسول الله (ص) ، بل هو يوم مقتل الجميع ، ويوم شهادتهم ، لقد كان يوم مقتل النبي مقدمة لمقتل الجميع وشهادتهم ، هذا اليوم في الحقيقة هو يوم شهادة الزهراء وعلي ، عليهما السلام ، وهو يوم شرْب الحسن (ع) للسم ، بل إنه يوم عاشوراء .

وهنا لو دققنا النظر لوجدنا أن كل واحد من هؤلاء العظماء كان عند اشتداد مصيبته ينشغل بذكر مصيبة أبي عبد الله (ع) ، فالنبي (ص) دعا بالحسين عندما حضره الموت ، فجاءوا به ، فأجلسه على صدره الشريف ، واحتضنه بذراعيه ، وعندما عرق صدره (ص) ، وبدأ بالارتحال إلى الرفيق الأعلى كان الحسين جالساً على صدره ، ففتح (ص) عينيه وقال :

"مالي وليزيد ، لا بارك الله في يزيد ، اللهم العن يزيد ."

ثم غشي عليه .[53]

والآن تعالوا لنرى المولى علياً (ع) كيف كان حاله عند الاحتضار ، كان يقضي آخر دقائق عمره المبارك على فراش المرض من أثر الضربة ، وكان الحسين (ع) عند قدمي أبيه ، ولما فتح علي (ع) عينيه ، ورآه أمامه ، قال له :

يا أبا عبد الله ، أنت شهيد هذه الأمة .[54]

أي: يا حسين ، صحيح أننا جميعاً نستشهد بيد أشرار هذه الأمة ، ولكن أنت الشهيد الذي لا يماثله شهيد .

ولنيمم وجهنا الآن نحو السبط الأكبر لرسول الله (ص) الحسن المجتبى (ع) لنرى حاله . فعندما كانت أخته الحبيبة قد أحضرت له الطشت ، وكان الحسن قد لفظ كبده قطعاً قطعاً في الطشت من أثر السم ، كان الإمام الحسين (ع) ينظر تارة إلى أخيه وأخرى إلى كبده المقطع ، ثم يبكي ، لأنه أدرك أنه بعد لحظات سيصبح بدون أخ . نظر إليه الحسن (ع) وقال له :

ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟

قال : أبكى لما يصنع بك .

فقال له الحسن ،عليه السلام، :

... لا يوم كيومك يا أبا عبد الله ، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل ...[55]

أي : يا أخي ، أنت ستستشهد وحيداً فريداً ، بين ثلاثين ألفاً ، يجتمعون على قتلك .

---

[53] - مثير الأحزان ، مصدر سابق ، ص 12 .

[54] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج42 ، ص 292 .

[55] - الأمالي، الشيخ الصدوق ، مصدر سابق ، ص 177 .

مصيبة علي الأصغر

روي أنه لما مرض إبراهيم ابن النبي (ص) ، وصار في حال الاحتضار ، دخل (ص) الغرفة ، فإذا إبراهيم في حجر أمه يجود بنفسه ، فأخذه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فوضعه في حجره ثم قال :

يا إبراهيم ، إنا لا نغني عنك من الله شيئاً .

ثم ذرفت عيناه ... ثم قال :

يا إبراهيم ، لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا ، لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا ، وإنا بك ، يا إبراهيم ، لمحزونون . تبكي العين ، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب .[56]

والآن نسأل : يا رسول الله ، لم يكن إبراهيم حينما احتضر عطشاناً ، ولم يكن في بدنه أية جروح ، ولم يكن ملقى تحت أشعة الشمس الحارقة ، ولم يخترق عنقه سهم ، ومع ذلك قلت أنك ستصبر على هذه الحال ، وأن قلبك محزون لأجله ، إذن فما حال أبي عبد الله (ع) الذي طالما أصر عليهم ، وهو يطلب له الماء ، حتى قال لهم :

خذوه واسقوه ، أما ترونه كيف يتلظى عطشاً ، فاسقوه شربة من الماء .

[57]

أي : ألا ترون ولدي الأصغر يتلوى كسمكة وقعت على اليابسة ، فلا يقدر على الحركة من فرط العطش .

ويفهم من الحديث أنه كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ، إذ لشدة العطش جف اللبن في صدور نساء الحرم .

تشابه بين وداع علي (ع) ووداع زينب للحسين (ع)

هناك تشابه بين وداع المولى علي (ع) لسيد الشهداء ووداع زينب له ، فعندما أراد أمير المؤمنين (ع) التشرف بالحضور إلى المسجد لأداء صلاة الصبح فجر اليوم التاسع عشر من شهر رمضان جدد وضوءه ، وانطلق باتجاه المسجد ، فلما وصل إلى ساحة البيت ، تعلقت طيور الأوز التي كانت في البيت بأطراف ثوبه ، وصاحت ، فقال (ع) :

صوائح تتبعها نوائح .[58]

ثم أمر بإطعامها وسقيها ، والمحافظة عليها ، وعدم الغفلة عنها .

---

[56] - ذخائر العقبى، مصدر سابق ، ص 155 .

[57] -اللهوف في قتلى الطفوف ، مصدر سابق ، ص 142 . بتصرف .

[58] - الكافي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 258 .

والآن لنستذكر آخر مرة خرج فيها أبو عبد الله للميدان ، فعندما خرج من الخيمة، وتعالت الصيحات ، وارتفعت أصوات النواح وجلبة البكاء من أهل الحرم أطفالاً ويتامى وأرامل ، نظر الإمام إلى زينب ، سلام الله عليها ، وقال :

يا أخية زينب ، أوصيك بالأيتام والحرم ، واستودعك الله .

مصيبة بقاء أبي عبد الله بدون غسل ولا كفن ولا دفن

نفى الخليفة الثالث عثمان أبا ذر ، رضوان الله تعالى عليه ، إلى صحراء الربذة التي لا ماء فيها ولا كلأ ، هذا الصحابي الطاهر الصادق الذي قال عنه رسول الله ،

صلى الله عليه وآله :

ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.[59]

ذلك النفي الذي كان بدون وجه حق جعل أبا ذر وابنته يدوران في الصحراء بحثاً عن الطعام والعلف ، ما أدى إلى مرضه وإشرافه على الموت ، فجمعت ابنته بعض الأحجار والرمل ، ووضعتها تحت رأسه ، وقالت له :

ماذا أفعل بجثمانك في هذه الصحراء ؟

قال : لقد حدثني حبيبي رسول الله (ص) بخبر وفاتي ، وان جماعة من أهل العراق يأتون ، ويتولون تجهيزي ، فما عليك سوى الوقوف في طريق القافلة ، وإخبارهم بخبر موتي، فسوف يأتون ، ويعملون على دفني .

ثم تمدد باتجاه القبلة ، ولم يمضِ سوى وقت قليل حتى ارتحل عن الدنيا ، فوضعت ابنته عباءته على رأسها وكتفيها ، وذهبت لتقف حيث أمرها أبوها ، بعد مدة رأت قافلة قادمة على تلك الطريق ، وكان فيها ابن مسعود ومالك الأشتر فصاحت :

يا عباد الله المسلمين ، هذا أبو ذر صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، قد هلك غريباً ، ليس لي أحد يعينني عليه .[60]

لم يمض على موت أبي ذر سوى ساعة أو ساعتين حتى نزل أهل القافلة بمجرد سماعهم بخبره ، فأخذوا بأطراف جنازته ، وتنازعوا في تكفينه ودفنه ، هذا يقول : أنا أغسله، وهذا يقول : أنا أكفنه .

نحن الآن نقول : يا عباد الله المسلمين ، هذا الحسين بن علي ، وهذا علي بن الحسين ، وهذا العباس بن علي ، توفوا في هذه الغربة ، فتعالوا جهزوهم ، تعالوا كفنوهم ، تعالوا واروهم الثرى .

---

[59] - الأمالي ، الشيخ الطوسي ، دار الثقافة ، 1414 هـ . ق. قم ، ط.1 ، ص 53 .

[60] -بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 22 ، ص 399 .

لا أعلم أية مصيبة أشد على قلب زينب ، بقاء جثمان الحسين بلا كفن ولا دفن ، أم دخول رأسه بيد لعين إلى مجلس ابن زياد ؟

لا أدري ، هل هذه المصيبة أشد على قلبها أم وضع الرأس الشريف بين يدي الدعي ابن زياد ؟

الأشد من كل ذلك وضع الرأس في طشت ، ثم ضربه بالخيزران على فمه .

لا أدري ، هل أقول لكم ما هي المصيبة الأشد من كل ذلك على قلب زينب ، أم لا ؟

المصيبة الأشد على قلبها كان شروع الدعي ابن زياد بالضحك على الرأس المقدس لأبي عبد الله الحسين (ع) .

النبي الأكرم (ص) يأمر الإمام الحسين (ع) في المنام

عندما ساءت الأمور في المدينة بعدما امتنع الحسين (ع) عن بيعة يزيد لدى والي المدينة ، خرج (ع) ليلاً إلى حرم جده (ص) ، فصلى ركعات ، ولما فرغ من صلاته جعل يقول :

اللهم هذا قبر نبيك محمد ، وأنا ابن بنت نبيك ، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت . اللهم ، إني أحب المعروف ، وأنكر المنكر ، وأنا أسألك ، يا ذا الجلال والإكرام ، بحق القبر ومن فيه ، إلا اخترت لي ما هو لك رضىً ، ولرسولك رضىً .

ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح ، وضع رأسه على القبر فأغفى ، فإذا هو برسول الله ، قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضم الحسين إلى صدره ، وقبل بين عينيه ، وقال :

حبيبي يا حسين ، كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك ، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء... [61]

ثم قال له : يا ولدي اخرج إلى العراق ، إن الله قد شاء أن يراك قتيلا .[62]

عزم (ع) على الخروج تلك الليلة من المدينة ، فعرفت نساء بني هاشم وعبد المطلب بالأمر ، وجئن إليه ، وبكين عنده ، وقلن له :

سل الله أن يجعلنا فداءك ، ونموت دونك ، وندفن بدلاً منك .

---

[61] -بحار الأنوار . مصدر سابق ، ج 44 ، ص 328 .

[62] - ينابيع المودة ، القندوزي ، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة ، 1416 هـ . ق. ط.1 ، ج3 ، ص 60، باختلاف يسير .

حضَرت عمات الإمام (ع) (أخوات أمير المؤمنين) وبكين عنده ، فمنعهن عن البكاء ، فقالت له إحداهن : يا حسين ، أنت تمنعنا عن البكاء ، وقد سمعنا من الجن أنك تقتل ، وهم ينوحون عليك .

وقائع الخروج من المدينة

عندما عزم الإمام الحسين (ع) على الخروج من المدينة جاءه ابن عباس ، فأشار عليه بالإمساك ، فقال له :

إن رسول الله قد أمرني بأمر ، وأنا ماضٍ فيه .

فخرج ابن عباس وهو يقول : واحسيناه .

ثم قال (ع) لابن عمر :

إن من هوان الدنيا على الله ، تعالى ، أن رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل . أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ، ويشترون ، كأن لم يصنعوا شيئاً ، فلم يعجل الله عليهم ، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام . اتقِ الله ، يا أبا عبد الرحمان ، ولا تدع نصرتي .

وبلغ خبر خروجه محمد بن الحنفية ، فأتاه ، وقال :

... فما معنى حملك هؤلاء النساء معك ، وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟

فقال (ع) : إن الله قد شاء أن يراهن سبايا .[63]

ثم انطلق (ع) من المدينة ، فكان يسمع في الطريق هاتفاً ينشد أشعاراً مخيفة .

وفي مسيره إلى العراق أخذته غفوة ، وهو على مركبه ، فاستفاق آخذاً بالبكاء ، ثم قال ثلاثاً : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي بعض المقاتل أن ابنه علياً الأكبر كان يسير إلى جنبه على فرس ، فقال له :

مم حمدت الله ، واسترجعت ؟

فقال : يا بني ، إني خفقت خفقة ، فعنَّ لي فارس على فرس ، وهو يقول :

القوم يسيرون ، والمنايا تسير إليهم .

فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا .

فقال له ابنه : يا أبه ، لا أراك الله سوءاً ، ألسنا على الحق ؟

قال : بلى ، والذي إليه المرجع والمعاد .

---

[63] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 364 .

قال : فإذاً ، لا نبالي أن نموت محقين .
فقال له الحسين ، عليه السلام :
جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والد .[64]

كلام أم سلمة عند خروجه من المدينة

لما عزم الحسين (ع) على الخروج من المدينة أتته أم سلمة ، رضي الله عنها ، فقالت : يا بني ، لا تحزني بخروجك إلى العراق ، فإني سمعت جدك يقول :

يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها : كربلا .

فقال لها : يا أماه ، وأنا والله أعلم ذلك ، وإني مقتول لا محالة ... وإن أردتِ ، يا أماه، أريك حفرتي ومضجعي .

ثم أشار ، عليه السلام ، إلى جهة كربلاء ، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه، ومدفنه ، وموضع عسكره ، وموقفه ، ومشهده ، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاءً شديداً ، وسلمت أمره إلى الله ، فقال لها :

يا أماه ، قد شاء الله ، عز وجل ، أن يراني مقتولا مذبوحاً ظلماً وعدواناً ، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين ، وأطفالي مذبوحين مظلومين ، مأسورين مقيدين ، وهم يستغيثون ، فلا يجدون ناصراً ولا معيناً .

ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة ، وأعطاها إياها ، وقال :

اجعليها مع قارورة جدي ، فإذا فاضتا دماً ، فاعلمي أني قد قتلت.[65]

قالت : فلما كان اليوم العاشر من المحرم ، فإذا هي دم عبيط ، فصحت في بيتي ، وبكيت ، وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم .

عن عبد الله بن عباس ، قال : بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيماً عاليا من بيت أم سلمة زوج النبي ، صلى الله عليه وآله ، فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها ، (وكان قد عمي في آخر عمره) ، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء ، فلما انتهيت إليها قلت :

يا أم المؤمنين ، ما بالك تصرخين وتغوثين ؟

فلم تجبني ، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت :

يا بنات عبد المطلب ، اسعدنني ، وابكين معي ، فقد ، والله ، قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة ، قد ، والله ، قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين .

فقيل : يا أم المؤمنين ، ومن أين علمت ذلك ؟

---

[64] - روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري ، تحقيق محمد مهدي الخرسان ، منشورات الرضي ، قم ، ص 180 .

[65] -بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 331 .

قالت : رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، في المنام الساعة شعِثاً مذعوراً ، فسألته عن شأنه ذلك ، فقال :

قُتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم ، والساعة فرغت من دفنهم .[66]

تشرف الملائكة بخدمة الإمام الحسين (ع)

لما سار أبو عبد الله الحسين بن علي ،عليهما السلام ، من مكة ليدخل المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومين والمردفين ، في أيديهم الحراب ، على نجب من نجب الجنة ، فسلموا عليه ، وقالوا :

يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه ، إن الله ، عز وجل ، أمدَّ جدك رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بنا في مواطن كثيرة ، وإن الله أمدك بنا .

فقال لهم : الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها ، وهى كربلاء ، فإذا وردتها فأتوني .

فقالوا : يا حجة الله ، إن الله أمرنا أن نسمع لك ، ونطيع ، فهل تخشى من عدو يلقاك ، فنكون معك ؟

فقال : لا سبيل لهم علي ، ولا يلقوني بكريهة أو أصلَ إلى بقعتي .

وأتته أفواج من مؤمني الجن ، فقالوا له :

يا مولانا ، نحن شيعتك وأنصارك ، فمرنا بما تشاء ، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك، وأنت بمكانك ، لكفيناك ذلك ، فجزاهم خيراً .

وقال : ... إذا أقمت في مكاني ، فبمن يمتحن هذا الخلق المتعوس ، وبماذا يختبرون.[67]

لا بد له من الحضور في كربلاء ليتميز الحق من الباطل .

وعندما خرج من المدينة شبَّه نفسه بموسى الكليم الذي فر من فرعون خائفاً يترقب . وفي مسيره كان يشبِّه نفسه بالنبي يحي المظلوم ، وكان يقول ما مضمونه :

أن رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ، ورأسي يهدي إلى زان شارب خمر .

ولكن هناك فرق بين خروج موسى وخروج الحسين (ع) ، فقد توجه موسى فاراً من فرعون إلى ماء مدين ، فوصله وارتوى منه ، ونسأل : هل شرب الحسين الماء ؟

بعد كل ذلك الخوف والتعب والرعب استشهد بقلب ظمآن .

---

[66] -الأمالي ، الشيخ الطوسي ، مصدر سابق ، ص 315 .

[67] -اللهوف في قتلى الطفوف ، مصدر سابق ، ص 41 .

غربة أبي عبد الله (ع)

خلال مسيره (ع) إلى كربلاء التقى به عدد من الأشخاص ، جاءه أحدهم ، وقال له : اذهب إلى اليمن ، فإن فيها الكثير من شيعتكم .

وجاءه آخر فقال له : اذهب إلى الجبل الفلاني ، واعتصم به .

هنا نلحظ كم كان (ع) غريباً ووحيداً إلى درجة أن غربته ووحدته ظهرت للجميع حتى عرضوا عليه الالتجاء إلى الجبال حتى قال في آخر الأمر :

يا فلان ، والله لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني .

ليت مصيبة أبي عبد الله اقتصرت على ذلك ، كان كلما وصل إلى منزل من منازل الطريق يبتعد الناس عنه مسرعين كي لا يطلب منهم النصرة ، فيضطروا إلى إجابته .

وحدث جماعة من فزارة وبجيلة قالوا :

كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة ، وكنا نساير الحسين ، عليه السلام ، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله ، فإذا نزل الحسين ، عليه السلام ، في جانب نزلنا في جانب ، فبينا نحن جلوس نتغدا من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين ، عليه السلام ، حتى سلم ، ثم دخل ، فقال :

يا زهير بن القين البجلى ، إن أبا عبد الله بعثني إليك لتأتينه .

فطرح كل إنسان منا ما في يده ، حتى كأن على رؤوسنا الطير ، فقالت امرأته :

سبحان الله ، أيبعث إليك ابن رسول الله ، ثم لم تأته ؟ لو أتيته فسمعت من كلامه .[68]

وفي آخر الأمر بقي مع الحسين حتى قتل ، رحمة الله عليه .

ولكن كان هناك الكثيرون ممن لم يستجيبوا لدعوة سبط النبي (ص) ، وابتعدوا عنه ، والتصقوا بدنياهم مختارين لأنفسهم الشقاوة الأبدية .

تعالوا لنفعل ما فعله زهير ، ونضع أيدينا على قبره ، ونتوسل إلى الله به لينزع حب الدنيا من قلوبنا ، ويزرع مكانه حب الإمام الحسين (ع) لنصل إلى السعادة الأبدية .

النزول في كربلاء

عصر اليوم التالي لنزوله في كربلاء كان جالساً في زاوية الخيمة وإذا بسهم يسقط في قلبه ، لم يكن ذلك السهم ذا ثلاث رؤوس ، بل كان له ألف رأس

---

[68] -روضة الواعظين ، مصدر سابق ، ص 178 .

، فقد وصل رجل من الكوفة من عند ابن زياد فسلم على الحر ، ولم يسلم على الحسين (ع) ، لم يسلم على ابن النبي (ص) وعلي والزهراء ، لم يسلم على حجة الله .

لقد كان ذلك السهم من اللعين ابن زياد قاسياً جداً على قلب الحسين (ع) ، كان رسالة يخاطبه فيها الدعي بقوله :

يا حسين ، فقد بلغني نزولك بكربلا ، وقد أمرني أمير المؤمنين أن لا أتوسد الوثير ، ولا أشبع من الخمير حتى ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية .

فلما قرأ الحسين الكتاب قال :

ليس له جواب ، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب .[69]

نقول : يا أبا عبد الله ، لئن عز عليك كلام ورسالة ابن زياد ، فما كان حالك عند دخول رأسك الشريف عليه ؟

وما كان حالك عند المصيبة العظمى حينما أخذ يضرب أسنانك وثغرك بالخيزران، ثم يشير إليك ، ويعلو صوته بالقهقهة .

نزوله (ع) في كربلاء

نزل الحسين (ع) بأهل بيته في كربلاء في اليوم الثاني من المحرم . لا نعلم ما إذا كان (ع) يعرف من اليوم الأول أنه بعد ثمانية أيام سيقتل ؟

وهل نوى الإقامة ، أم كان يصلي قصراً ؟

وهل صلى أهل بيته الذين كانوا يعلمون أنهم سيؤسرون قصراً ، أم تماماً .

عندما سمع (ع) باسم كربلاء صاح بعالي صوته : آه . ثم بكى كثيراً ، وقال :

هي والله أرض كربلاء .

لم تعد تتقدم الخيول ، فبدَّل ستة منها ، فلم ترفع قدماً عن قدم ، لذا قال ما مضمونه :

هاهنا كربلاء ، هاهنا محل شهادتنا ، هاهنا يقتلوننا ، هاهنا مصارعنا ، والله هذا ما وعدني به جدي ، ولن يخلف وعده .

ثم نزل بسكينة عن فرسه ، وبعد سبعة أيام نزل عن فرسه أيضاً ، لكن لا باختياره ، فقد أصابه السهم المثلث في قلبه المبارك ، فانبعث دمه كالميزاب ، وترك عزيز الزهراء عنان ذي الجناح من يده ، وحاول جهده أن ينتزع السهم

---

[69] -مناقب آل أبي طالب ، مصدر سابق، ج 3 ، ص 248 .

من صدره ، فلم يتمكن ، فأخرجه من ظهره ، وضعف مظلوم كربلاء حتى لم يتمكن من الثبات على ظهر الفرس ، ثم سقط على جبينه فوق الأرض .

نزول الإمام الحسين (ع) في كربلاء

عندما حطت القافلة رحالها في كربلاء أمر الحسين (ع) بنصب الخيام ، ثم جمع كافة أهل بيته وكانوا أربعين ذكراً تقريباً ، استشهد منهم فيما بعد ثلاثون ولم يبق منهم سوى السجاد(ع) وتسعة أطفال . وكان أكبر الشهداء سناً العباس (ع) ، وأصغرهم الطفل الرضيع . أمرهم الحسين (ع) أن يجتمعوا في خيمة واحدة .

وكانت النساء بحدود الستين ، ومع أولاد عقيل يصبح المجموع حوالى المائة والعشرين شخصاً من أهل بيته ومتعلقيه (ع) .

فجمع الحسين ، عليه السلام ، ولده وأخوته وأهل بيته ، ثم نظر إليهم فبكى ساعة (فبكت النساء والرجال والأطفال لبكائه)ثم قال : اللهم إنا عترة نبيك محمد ، وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدنا ، وتعدت بنو أمية علينا . اللهم ، فخذ لنا بحقنا ، وانصرنا على القوم الظالمين .[70]

ما الذي دعاه إلى ذلك ؟

لعل الحسين (ع) ، والله العالم ، أراد أن يواسي قلوبهم ، ويبعد الخوف والرعب عن أفئدتهم ، هذا الخوف الذي انتابهم عند خروجهم من مكة والذي اشتد حين التقائهم بجيش الكوفة أثناء مسيرهم .

ولعل العلة الأخرى أن الحسين (ع) كان يرى بالنظر إلى وجوههم ما سيحل بهم بعده من أنواع البلاء ، حيث سيعانون الجوع ، ويقاسون العطش ، ويرون المهانة، فضلاً عن أن عدداً منهم ستقطع أيديهم وأرجلهم ، وتفصل رؤوسهم عن أبدانهم المباركة ، بينما سيقع الآخرون في الأسر . وسيبقى بعضهم في كربلاء بينما سينأى الآخرون عن ديارهم وأوطانهم . أما الذين سيبقون في كربلاء فلن تبقى كل أعضائهم فيها ، بل ستطوف رؤوسهم على رؤوس الرماح في الفلوات والمدن . لعل هذا ما كان يراه الحسين (ع) فيهم .

وهناك احتمال ثالث ، فلعل الحسين (ع) تمثل له أنه سيكون لهؤلاء من بعده عدة اجتماعات ، أحدها في مصرعه فوق جثمانه ، وهو مقطوع الرأس ، والآخر في مجلس ابن زياد برفقة رؤوس الشهداء المقطوعة ، والاجتماع الثالث مع الرؤوس في مجلس يزيد في الشام .

نظر إلى أهل بيته فوجدهم لا ملجأ لهم بعده على وجه الأرض ، ووجد أصحابه وأهل بيته قتلى بلا دفن ، كأنهم ليس لهم محل في بطنها .

---

[70] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 383 .

غربة أبي عبد الله ووحدته في مسيره من مكة إلى كربلاء

لقد زار جميع الأنبياء محل قبر الحسين (ع) بما في ذلك خاتمهم (ص) . فقد ورد أنه في رحلة المعراج عرج جبرائيل بالنبي (ص) إلى تلك الصحراء لزيارة أرض كربلاء. انظروا كم هي عظمة الحسين (ع) ليأتي الأنبياء فرداً فرداً سواء كانوا من أولي العزم أو من غيرهم لزيارة محل دفنه . فما هو السر في ذلك يا ترى ؟ ولماذا أعطى الأنبياء كل تلك الأهمية لزيارته ؟

إن السر في ذلك هو أنه (ع) عاش حالات ابتعد فيها عنه أهل الخيانة وعبدة الدنيا :

أولها : أنه عندما خرج من مكة لم ينصره أحد ممن التقوا به ، فكل من كان يراه أثناء الطريق من القوافل والأشخاص كان يبتعد عنه ويتجنبه ، بل كان يفر منه . ومن ذلك عبيد الله بن الحر الجعفي الذي كان واحداً من زعماء القبائل ، حيث ضرب خيمته بعيداً عن قافلة الحسين . فأرسل (ع) يدعوه لنصرته ، ولكنه أجابه بقوله :

والله ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها .والله ما أريد أن أراه ، ولا يراني .[71]

ولما سمع الحسين (ع) جوابه قال : أنا آتيه . فجاءه حتى دخل خيمته ، وقال له :

أيها الرجل ، إنك مذنب خاطئ ، وإن الله ، عز وجل ، آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله ، تبارك وتعالى ، في ساعتك هذه ، فتنصرني ، ويكون جدي شفيعك بين يدي الله ، تبارك وتعالى .[72]

ولكن اللعين لم يقبل ذلك فقال له الحسين (ع) :

إن لم تنصرنا ، فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا ، والله لا يسمع واعيتنا أحد ، ثم لا ينصرنا إلا هلك ".[73]

ثانيها : أنه في صباح العاشر من المحرم لم يبق معه أحد . كان غريباً ، ولما اشتدت غربته استغاث ، فلم يغثه أحد . وبعد شهادة علي الأكبر وأبي الفضل استغاث مرة أخرى : هل من ناصر ينصرني ؟ فلم يغثه أحد . وعندما سقط عن ظهر جواده نادى فيهم مستغيثاً ثالثة ، ولكن أحداً لم يجبه .

نعم ، نصره بعض أعزائه ، ولكن لما نزل بهم البلاء ازداد وجع قلبه المبارك . وفي النهاية اشتدت غربته ، فقد فارقه كل أصحابه ، وبقي وحيداً في

---

[71] - الشيخ المفيد ، الإرشاد ، ج2 ، ص 81 .

[72]- الأمالي ، الشيخ الصدوق ، مصدر سابق ، ص 219 .

[73]- الإرشاد ، مصدر ، سابق ، ج 2 ، ص 82.

الصحراء بلا غسل ولا كفن ، غريباً بين التراب والرياح وتحت أشعة شمس كربلاء الحارة المحرقة .

هلموا نبايع الحسين (ع)

يروى أنه عندما كان الحسين (ع) في مكة أتاه جماعة من رواة الحديث عن رسول الله (ص) فقالوا له : نخشى عليك من سفرك هذا . فقال لهم (ع) : انظروا إلى السماء . فنظروا ، وبقدرة الله وبكرامة الإمام (ع) انكشف الحجاب ، فرأوا السماء تعج بالملائكة ، فقال لهم : لو شئت لنزل هؤلاء لنصرتي .

وعن ابن عباس ، قال : رأيت الحسين ، عليه السلام ، قبل أن يتوجه إلى العراق على باب الكعبة ، وكف جبرائيل في كفه ، عليهما السلام ، وجبرائيل ينادي :

هلموا إلى بيعة الله ، عز وجل .[74]

نحن لم نكن حاضرين آنذاك في مكة كي نشارك في البيعة ، فتعالوا لنبايع الآن على الأقل ، نبايعه على أن لا نتخلى عن الإسلام ولا نعصي ولا نظلم .

وقائع اليوم الخامس من المحرم ومحاصرة أبي عبد الله

يظهر أنه في الأيام الأولى للمحرم حدث مجيء ذلك الشخص المرسل من قبل ابن زياد إلى الحر .

فبعد أن منع الحر قافلة الحسين (ع) من النزول في القرى ، وأجبره على النزول

في أرض مقفرة لا ماء فيها ولا كلأ ، جاء فارس من طرف الكوفة ، فلم يسلم على الحسين (ع) ، وسلم على الحر ، وسلمه رسالة ، كانت تلك الرسالة من ابن زياد اللعين، وكان مكتوباً فيها :

أما بعد ، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك رسولي ، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ، ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري . والسلام .

فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر : هذا كتاب الأمير عبيد الله ابن زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه ، وهذا رسوله ، وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره .[75]

---

[74]- مدينة المعاجز ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 503 .

[75]- تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 308 .

فقال له الحسين عليه السلام : " دعنا - ويحك - ننزل في هذه القرية أو هذه - يعني نينوى والغاضرية - أو هذه - يعني شفنة .

قال : لا ، والله ، ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بعث إلي عينا علي .[76]

فقال له زهير بن القين : إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم ، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به ، فقال الحسين ، عليه السلام :

" ما كنت لأبدأهم بالقتال ."[77]

تابع الحسين (ع) مسيره فسار جيش الحر إلى جنبه قاطعاً عليه طريق الدخول إلى القرى العامرة حتى أوصله إلى أرض مقفرة تسمى كربلاء .

يقال : لما وصلوا إلى كربلاء توقف جواد الحسين عن المسير ، فأبدله بآخر ، فامتنع أيضاً ، حتى أبدل ست أفراس ، لكن أياً منها لم يسر ، فنزلوا هناك ، ونصبوا خيامهم .

ثم ومن بعيد لبعيد طوقت جيوش اللعين ابن سعد المخيم ، وشيئاً فشيئاً راحوا يضيقون الحصار ليدخلوا بذلك الرعب على حرم أبي عبد الله (ع) .

الآن تعالوا لنرى كيف كان حالهم . ففي الأيام الأولى للحصار حينما لم يكن الماء ممنوعاً عن أهل بيت أبي عبد الله (ع) كان بمقدورهم إعداد شيء من الطعام ، ولكن بسبب بعدهم عن القرى المجاورة ومحاصرة جيش ابن زياد لهم عانوا من الجوع إلى اليوم العاشر ، وكانوا لا يقتاتون إلا مما ادخروه معهم حتى نفد . يعني فضلاً عن العطش كان على أهل البيت أن يعانوا من الجوع أيضاً ، وهذه مصيبة أخرى .

وقائع اليوم السابع : منع الماء عنهم

في اليوم السابع من المحرم ورد كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد : أن حل بين الحسين وأصحابه والماء ، فلا يذوقوا منه قطرة ...

فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ، فنزلوا الشريعة ، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة ... ونادى عبد الرحمن بن حصين الأزدي بأعلى صوته :

ألا تنظروا إلى الماء كأنه كبد السماء ، والله لا تذوقون منه قطرة حتى تموتوا عطشاً.

فقال الحسين ، عليه السلام : اللهم اقتله عطشاً ، ولا تغفر له أبداً .[78]

---

[76]- الارشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 84 .

[77] - روضة الواعظين ، مصدر سابق ، ص 181 .

[78]- المصدر السابق ، ص 182 .

ثم قال ملعون آخر كلاماً كان أشد عليه من منع الماء ، كما ورد في بعض المقاتل .

وقائع اليوم الثامن من المحرم : فقدان الماء

عندما وصلت رسالة اللعين ابن زياد يأمر فيها بمنع الماء ويقول له فيها : لا أقبل لك عذراً بعدما هيأت لك الأسباب وجمعت لك الفرسان . وأمره أن يحول بين الماء والحسين .

وكان مما قاله له :بلغني أن الحسين يحفر الآبار ، ويصيب الماء ، فيشرب هو وأصحابه . فانظر إذا ورد عليك كتابي ، فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت ، وضيق عليهم ، ولا تدعهم يذوقوا الماء .[79]

فقام الملعون ابن سعد بنشر خمسمائة فارس مسلح على بعد نصف فرسخ عن خيام الحسين ، ووكلهم على شريعة الفرات .

من هذا اليوم صار لمخيم الحسين (ع) حكاية أخرى ، فقد كان الصراخ يتعالى من كل أطراف الخيام : الماء ، الماء . ولكن أحداً لم يقدم لأهل بيت النبي قطرة واحدة .

يقول أحد الرواة : كنت يوماً بصحبة الإمام الصادق في طريق مكة ، فرأينا شخصاً مستلقياً في ظل شجرة ، فقال (ع) : اذهب إليه ، ربما كان العطش قد أسقطه .

يقول الراوي : فترجلت وسرت إليه واطلعت على أحواله عن كثب ، ثم رجعت إلى الإمام ، فقلت له :

يا ابن رسول الله ، إنه رجل نصراني عطشان .

فقال (ع) : أعطه ماء ليروى ، فإن الله يثيب كل من أروى كبداً عطشاناً .

وفي رواية أنه في يوم القيامة عندما تنشر كتب الخلائق للحساب فإن أول الأعمال أجراً هو إرواء العطشان .

ينقل عن النبي (ص) أنه كان يتوضأ ذات يوم إذ مرت من أمامه هرة ، فنظرت
إلى الماء ، فقال (ص) : من الواضح أنها عطشى . فقطع وضوءه ووضع لها الماء حتى
شربت ، ثم أكمل وضوءه .

---

[79]- المسائل العكبرية ، الشيخ المفيد ، دار المفيد ، 1414 هـ ، بيروت ، ط.2 ، ص 71 .

وجاء في أحكام الشريعة أنه إذا صحب شخص حيواناً في سفر ، وعلم أنه إذا توضأ أو اغتسل بالماء الذي معه ، فلن يبقى للحيوان ما يشربه ، ما يؤدي إلى عطشه قالوا : يجب أن يقدم له الماء ، ويتيمم .

وقالوا : إذا لم يكن الحيوان له ، بل كان لغيره ممن في القافلة فله ذات الحكم ، وكذا الحال لو كان أهل القافلة ذميين من أهل الكتاب .

الآن ، وقد اتضحت لنا هذه المسائل ، نعلم إلى أي حد لم يراعِ أهل الكوفة حرمة نزيل كربلاء . هل قدموا الماء لأبي عبد الله وأهل بيته المظلومين ؟ أم كان على "سليمان كربلاء " أن يمص الخاتم من شدة القحط ؟

لا تزال أصوات عطاشى أبي عبد الله تقرع أسماع العيوق .

لقد ملأ نداء : الماء الماء فضاء كربلاء في أواخر أيام عاشوراء .

مع أنه كان من الصعب جداً على الحسين أن يبذل ماء وجهه في طلب الماء ، خصوصاً من قوم أمثال جيش ابن سعد ، كما كان من الصعب عليه أن يبذل الآخرون ماء وجههم للطلب منه (ع) ، حتى إذا كتب له أحدهم كتاباً يطلب منه شيئاً لم يكن يفتحه ، بل يعمد إلى الكتابة على ظهره عبارة : حاجتك مقضية . حتى أنهم يقولون أنه لم يكن يقرأ اسم كاتبه ، وكان يقول :

لو قرأت اسمه لخجل مني كما لو فتحت كتابه .

كان إذا طرق سائل بابه يطلب حاجة ، يفتح له الباب قليلاً كي لا يراه ، ثم يسأله عن حاجته ، فإذا ذكرها عمد من خلف الباب إلى قضائها ، فكان يمد يده المباركة من خلف الباب ليناوله المال ، فيأخذه السائل دون أن تقع عينه على عين الحسين (ع)، فيقول له : هل تسمح لي ، يا ابن رسول الله ، بالنظر إلى وجهك ؟

فيجبيه : لا ، أخاف إذا وقعت عيني على عينك أن تستحي مني .

والآن ، تأملوا كيف كان حاله ، وهو يرى أهل بيته يسألونه ويرجونه ، بل أكثر من ذلك كان يسمع أنينهم وصراخهم وجزعهم وضعفهم ، ولا يقدر أن يفعل لهم شيئاً . وكم كان صعباً على الحسين (ع) أن يطلب من هؤلاء الكفار بعض الماء ، وهم لا يستجيبون له إلا بسهم مثلث أصاب به حرملة العنق الناعم لعلي الأصغر .

لقد نقلوا مستفيضاً أن سهم حرملة المثلث ذبحه من الوريد إلى الوريد .

حوار أبي عبد الله مع عمر بن سعد

بعث الحسين (ع) إلى عمر بن سعد رسولاً يقول له :القني الليل بين عسكري وعسكرك .

فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً ، وأقبل حسين في مثل ذلك ، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه[80] ، وبقي معه أخوه العباس ، وابنه علي الأكبر ، وأمر عمر بن سعد وأصحابه فتنحوا عنه ، وبقي معه ابنه حفص وغلام له .

فقال له الحسين ، عليه السلام :

ويلك يا ابن سعد ، أما تتقي الله الذي إليه معادك ؟ أتقاتلني ، وأنا ابن من علمت ؟ ذر هؤلاء القوم ، وكن معي ، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى .

فقال عمر بن سعد : أخاف أن يهدم داري .

فقال الحسين ، عليه السلام : أنا أبنيها لك .

فقال : أخاف أن تؤخذ ضيعتي .

فقال الحسين ، عليه السلام : أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز .

فقال : لي عيال ، وأخاف عليهم .

ثم سكت ، ولم يجبه إلى شئ .

فانصرف عنه الحسين ، عليه السلام ، وهو يقول :

ما لك ؟ ذبحك الله على فراشك عاجلاً ، ولا غفر لك يوم حشرك ، فوالله ، إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيرا .

فقال ابن سعد : في الشعير كفاية عن البر . مستهزئاً بذلك القول .[81]

ثم إن الحسين (ع) عرض عليه أن يدعه يرجع إلى مكة أو المدينة أو يلتحق بثغر من ثغور المسلمين . ما يعني أنه مستعد للتخلي عن أمواله وضياعه . فأجابه بأنه لا بد له من مراجعة أميره ابن زياد في ذلك .

ثم إن عمر كتب إلى عبيد الله بن زياد كتاباً في ذلك ولكن الشمر قال له :

أتقبل هذا منه ، وقد نزل بأرضك وأتى جنبك ؟ والله ، لئن رحل بلادك ، ولم يضع يده في يدك ، ليكونن أولى بالقوة ، ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، فإنها من الوهن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصاحبه ، فان عاقبت فأنت أولى بالعقوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك .

فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ! الرأي رأيك . اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد ، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي ، فان فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فان فعل فاسمع له وأطع ، وإن أبى أن يقاتلهم ، فأنت أمير الجيش ، فاضرب عنقه ، وابعث إلي برأسه .

---

[80]- مقتل الحسين (ع)، أبو مخنف الازدي ، تحقيق حسن الغفاري ، مكتبة المرعشي النجفي ، 1398هـ ، قم ، ص 99 .

[81] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 388 .

وكتب إلى عمر بن سعد : " لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنيه السلامة والبقاء .

كان ابن سعد يرغب في أن يتجنب قتل الحسين وفي نفس الوقت يفوز بملك الري .

وكتب إليه أيضاً ما يحرق القلب على مظلومية أبي عبد الله :

فازحف إليهم حتى تقتلهم ، وتمثل بهم ، فانهم لذلك مستحقون ، فان قتلت حسيناً ، فأوطئ الخيل صدره وظهره ، فإنه عات ظلوم .[82]

هكذا كان يوم عاشوراء ، وطأت الخيل صدر الحسين (ع) حتى غيرته ، فلم يعد يعرف ، لأنه صار أشلاء ممزقة ، إلى درجة أن السجاد (ع) عندما أراد حمله إلى القبر لم يتمكن، فقد كان كلما حمل قطعة وقعت قطعة أخرى على الأرض ، فنادى : يا بني أسد، آتوني بحصير . ففعلوا ، فجعل يضع عليها الجسد الشريف قطعة إلى جنب قطعة إلى أن وارى جثمانه ملفوفاً بقطعة الحصير .

ابن سعد يرسل رسوله إلى أبي عبد الله (ع)

لنتحدث الآن قليلاً عن محاصرة أبي عبد الله (ع) ، فإذا كان الحر قد جاء لمحاصرة الحسين فإن اللعين عمر بن سعد جاء بقصد قتله .، فما أن وصل هذا الكلب النجس إلى كربلاء ، حتى قال لقادة جيشه : اذهبوا إلى الحسين ، فاسألوه : لماذا يريد دخول الكوفة ؟

خجل أولئك الظلمة من أنفسهم ، وقالوا له :

نحن من الذين كتبوا إليه الكتب فلا نقدر على مواجهته .

فجاء شخص ظالم شرير يقال له : كثير بن عبد الله ، لعنة الله عليه ، يقال : كان رجلاً لا حياء له ، وفتاكاً لا نظير له فقال : أنا أذهب إليه . ثم قال كلاماً سيئاً . قال :

والله لئن شئت لافتكن به .

فقال له عمر : ما أريد أن تفتك به ، ولكن ائته فاسأله : ما الذي جاء بك ؟

فاقبل كثير إليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصايدى قال :

أصلحك الله ، يا أبا عبد الله ، قد جاءك شر خلق الله وأجرأه على دم وأفتكه . وقام إليه وقال له : ضع سيفك ، قال : لا ، ولا كرامة ، إنما أنا رسول ، فان سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن أبيتم انصرفت عنكم .[83]

---

[82] - المصدر السابق ، بتصرف .

[83]- روضة الواعظين ، مصدر سابق ، ص 181 .

انظروا إلى أي حد ضاقت الأمور بالإمام (ع) حتى يجرؤ ذلك الخبيث بكل وقاحة أن يتطاول على ساحته المقدسة ، إن القلوب لتحترق ألماً لغربة الحسين ووحدته.

قال أبو ثمامة : فإني آخذ بقائم سيفك ، ثم تكلم بحاجتك .

قال : لا ، والله ، لا تمسه .

فقال له : اخبرني ما جئت به ، وأنا أبلغه عنك ، ولا ادعك تدنو منه ، فانك فاجر .

فأبى ، وانصرف إلى عمر بن سعد .

أريد أن أقول لأبي ثمامة الصايدي:

يا أبا ثمامة ، لقد رفضت وصول ذلك الفاجر أن يتقدم من الإمام وهو على تلك الحال ، ولكن أين كنت ظهر عاشوراء عندما كانت ضربات اللعين سنان تنهال على الإمام ، وقد حاصره الجيش بأجمعه، وأسقطوه على الأرض ؟

أين كنت عندما راح كل واحد ينال الإمام بضربة ؟

أين كنت عندما أخذوا يطعنونه بالرماح ؟

أين كنت عندما رموه بالسيوف والأخشاب ؟

أين كنت عندما رموه بالحجارة ؟

نعم ، لقد بلغ الحال أن ضربوه بالحجارة عندما راح كل واحد من جيش ابن سعد يرميه بما معه ، فإن لم يكن معه رمح ولا خنجر ولا سيف كان يأخذ حجارة الصحراء ، ويرميه بها ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، إلى درجة أن جسده الشريف لم

يعد يُرى من كثرة الرماح المتكسرة والحجارة ؟

ولا يزال لدي سؤال آخر أوجهه لأبي ثمامة ، فأقول :

أين كنت ، يا أبا ثمامة ، عندما وطأ الشمر اللعين صدر الحسين (ع) بحذائه ، وحز رأس أبي عبد الله من القفا ؟

لقاء خزيمة الأنصاري بابي عبد الله

بعدما منع أبو ثمامة عبد الله بن كثير من الوصول إلى الإمام ، أرسل ابن سعد رجلاً آخر يسمى خزيمة وقال له : امض إلى الحسين ، وقل له : ما الذي جاء بك إلينا وأقدمك علينا ؟

فاقبل حتى وقف بأزاء الحسين ، عليه السلام ، فنادى :

السلام عليك ، يا بن بنت رسول الله .

روحي لولائك الفداء ، يا خزيمة .

فقال الحسين ، عليه السلام : أتعرفون هذا الرجل ؟

فقالوا : هذا رجل فيه الخير ، إلا انه شهد هذا الموضع .

فقال : سلوه ما يريد ؟
فقال : أريد الدخول على الحسين ، عليه السلام .
فقال له زهير ، رحمه الله : القِ سلاحك ، وادخل .
فقال : حباً وكرامة ، ثم ألقى سلاحه ، ودخل عليه ، فقبل يديه ورجليه ، وقال :
يا مولاي ، ما الذي جاء بك إلينا ، وأقدمك علينا ؟
فقال ، عليه السلام : كتبكم .
فقال : الذين كاتبوك هم اليوم من خواص ابن زياد .
فقال له : ارجع إلى صاحبك ، وأخبره بذلك .
فقال : يا مولاي ، من الذي يختار النار على الجنة ؟ فوالله ، ما أفارقك حتى ألقى حمامي بين يديك ! [84]
وبقي مع الإمام حتى نال الشهادة مع أصحابه .

وقائع يوم التاسع من المحرم وهجوم ابن سعد على حرم الحسين (ع)

عصر التاسع من المحرم أخذت أبا عبد الله إغفاءة قليلة ، فتقدمت منه زينب وقالت له : يا أخي ، ألا تسمع هذه الأصوات ؟ فنهض الحسين (ع) فرأى فرقة جديدة تنضم إلى من سبقها من الجيوش ، وكان لهم جلبة عالية ، وأصوات التهليل ترتفع من جيش ابن سعد فرحاً بقدومهم ، وذلك لأنهم علموا أنه بقدوم هؤلاء لا يبقى للحسين أمل بالنجاة .

فقال الحسين لزينب عليهما السلام : الآن رأيت جدي وأبي وأمي وأخي في المنام ، ومعهم ملك بيده قارورة خضراء ، فقال لي جدي رسول الله (ص) :
يا بني ، أنت شهيد هذه الأمة ، وينتظر أهل السماوات قدومك ، فعجل .
وقال : وهذا الملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء .[85]
ثم نظر إلى أخيه العباس وقال له :
ارجع إليهم ، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغداة ، وتدفعهم عنا العشية ، لعلنا نصلى لربنا الليلة ، وندعوه ، ونستغفره ، فهو يعلم أني قد أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار .[86]

نعم ، أرسل الحسين (ع) أحب اخوته إليه العباس مظهر غيرة بني هاشم ليستمهل الأعداء إلى الغد من أجل الصلاة والدعاء والاستغفار .

---

[84]- كلمات الإمام الحسين (ع) ، مصدر سابق ، ص 381 ، بتصرف . ومثله مختصراً في ينابيع المودة ، القندوزي ، ص 67 .

[85] - نقل المؤلف هذه الرواية بالمضمون ، وتجد الرواية كاملة في بحار الأنوار ، ج45 ، ص 3 .

[86] - الإرشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 90 .

إلهي ، نسألك بحق صلاة أبي عبد الله ودعائه واستغفاره وتلاوته القرآن في ليلة عاشوراء ويومه أن تتجاوز عن ذنوبنا وتغفر لنا .

حوار الإمام الحسين (ع)(مع أصحابه ليلة العاشر

جمع الحسين (ع) أصحابه ليلة العاشر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال بعد دعاء وكلام كثير :

وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ، ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً ، وليأخذ كل رجل بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم ، فان القوم إنما يطلبونني ، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري.[87]

ثم أطفأ سراج الخيمة ، وأطرق برأسه إلى الأرض .

ولكن ماذا كان جواب الأصحاب ؟

لا ينبغي لنا في قضية عاشوراء أن نتحدث عن مصائب القتل والجرح ، بل علينا أن نبين عظمة أنصار الحسين وتضحياتهم ووعيهم وشجاعتهم وعشقهم للشهادة .

كل واحد منهم أجاب بجواب ، فزهير بن القين قال :

والله ، لوددت أني قتلت ، ثم نشرت ، ثم قتلت حتى اقتل كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك .[88]

قال لهم الحسين : اذهبوا .

ولكن الجواب كان :

والله ، لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، فيك .

والله ، لو علمت أني أقتل ، ثم أحيا ، ثم أحرق حياً ، ثم أذر ، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك .[89]

وقال أبو الفضل :

ولم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً .[90]

وقال علي الأكبر والقاسم وسائر أولئك العظماء كلاماً مشابهاً لهذا .

نقول لهؤلاء العظماء :

أين كنتم ظهر اليوم العاشر عندما نظر الحسين يمنة ويسرة فلم يرَ أحداً ؟

أين كنتم عندما سقط عن جواده مستغيثاً ؟

87- مناقب آل ابي طالب ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 248 .

88- مقتل الحسين (ع) ، مصدر سابق ، ص 110 .

89- المصدر السابق ، ص 109 .

90- اللهوف في قتلى الطفوف ، مصدر سابق ، ص 55 .

أين كنتم عندما فصل الأعداء رأسه المقدس عن جسده الشريف ، وعندما تعرض أهل الكوفة عديمي الحياء للخيام ؟

لمحات من وقائع ليلة العاشر

يقول الإمام السجاد (ع) :

فوالله ، ما أتم كلامه إلا وتفرق القوم من عشرة وعشرين ، فلم يبقَ معه إلا واحد وسبعون رجلاً ، فنظرت إلى أبي منكساً رأسه ، فخنقتني العبرة ، فخشيت أن يسمعني ، ورفعت طرفي إلى السماء وقلت :

اللهم ، إنهم خذلونا ، فاخذلهم ، ولا تجعل لهم دعاء مسموعاً ، ولا تجعل لهم في الأرض مسكناً ، وسلط عليهم الفقر ، ولا ترزقهم شفاعة جدي يوم القيامة .

ورجعت ودموعي تجري على خدي ، فرأتني عمتي أم كلثوم ، وقالت :

ما لك يا بن أخي ؟

فأخبرتها خبر خيانة القوم وتفرقهم ، وتركهم أبي وحيداً . [91]

مواساة الإمام الحسين (ع) لأهل بيته ليلة العاشر

لم يذق الحسين (ع) ليلة عاشوراء طعم النوم ، كان أحياناً ينشغل بوداع عبادة الله تعالى ، وأحياناً ينشغل بتسلية زينب . وفي إحدى المرات وبينما كان يسليها بكى بكاء شديداً ، روحي الفداء لدموعك يا أبا عبد الله .

أراد أن يصلي صلاة الصبح ، فلم يجد ابن النبي ماء ليتوضأ ، فصلى ، وصلوا جميعاً بالتيمم .

وقبل أن ينبلج الصباح هجم جيش ابن سعد على معسكر الحسين (ع) ، كانوا ثلاثين ألفاً ، ولم يكن مع الحسين سوى اثنين وسبعين رجلاً ، ثلاثين فارساً واثنين وأربعين راجلاً .

زهير بن القين على الميمنة ، وحبيب بن مظاهر على الميسرة ، "وأعطى رايته العباس بن علي أخاه "[92] ، وبقي هو في القلب .

ولعلمه بقلة حياء القوم أمر بحفر خندق خلف الخيام وملأه حطباً ، وأمر أن تضرم النار فيه ، كي لا يأتوهم من ورائهم ، ويهتكوا حرمات أهل الحرم .

---

[91]- لم ترد هذه الرواية في أي من المصادر المعتبرة ، وقد أوردها الشيخ الشريفي في كتابه "كلمات الإمام الحسين (ع)" ، ص 399 ، باختلاف يسير عما في المتن . هذا فضلاً عن أن الشريفي نقلها عن سكينة لا عن السجاد ، ولا يصح نقلها عن السجاد بحال لعدم قدرته تلك الليلة عن الحركة والتنقل بين الخيام بمفرده .

[92] - الإرشاد ، مصدر سابق ، ص 95 .

لما رأى الشمر اللعين النار تحيط بشكل كامل بالجهة الخلفية للمخيم لم يجد بداً من الهجوم من الجهة الأمامية له ، فوقف بعيداً عن معسكر الحسين (ع) . وهنا نادى عمر بن سعد : أعطوني قوساً وسهماً . ثم رمى بأول سهم نحو معسكر الحسين ، وقال : اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى .[93]

ثم راحوا يرمون بسهامهم نحو خيام الحسين (ع) ، "وأقبلت السهام من القوم كأنها القطر ".[94]

لقد كانت السهام كثيرة إلى درجة أن نصف أصحاب الحسين (ع) قتلوا في هذه الحملة الأولى ، ولعل السهام أصابت الجميع ولكن هؤلاء قتلوا لكثرة الجراح التي أصابتهم .

حوار الحسين (ع) مع زينب ليلة العاشر

كان الحسين (ع) جالساً في زاوية الخيمة حينما دخلت عليه زينب أم المصائب . فهمت من حركاته وسكناته أنها ستغدو بدون أخ ، وفهمت من القرائن والشواهد أنها ستكون بلا ملجأ ، وبلا نصير ، ولا كفيل ، وعليها أن تهيأ نفسها للأسر . جاءت إليه بحالة غريبة . كان الوقت ليلاً فجاءت حاسرة الرأس حافية القدمين تجر ثوبها وراءها من شدة استعجالها ، ما الذي حصل حتى تأتي زينب على هذه الحال ؟

قالت له : واثكلاه ، ليت الموت أعدمني الحياة ، اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي وحسن أخي ، يا خليفة الماضين وثمال الباقين .

فنظر إليها الحسين ، عليه السلام ، فقال : يا أخية ، لا يذهبن حلمك الشيطان .

لا بد أنه عندما رأى أخته بهذه الحال امتلأت عيونه بالدموع .

"رد غصته وترقرقت عيناه ، وقال : لو ترك القطا ليلا لنام ".

قالت : يا ويلتي ، أفتغصب نفسك اغتصاباً ، فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي .

ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشيا عليها.[95]

فقام إليها الحسين ، فصب على وجهها الماء ، وعزاها بكلماته العذبة .

أما عصر عاشوراء لما جلست عند مصرعه ، فمن ذا الذي جاء يسليها ؟

لقد جاءها أفراد جيش ابن سعد ، فأبعدوها عن جسد الحسين (ع) بالسياط وكعوب الرماح .

---

[93] - مثير الأحزان ، مصدر سابق ، ص 41 .

[94] - اللهوف ، مصدر سابق ، ص 60 .

[95]- تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 319 .

مصائب أنصار أبي عبد الله (ع)

قال الحسين (ع) ليلة عاشوراء :

فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي .[96]

والآن لنتأمل ما هي الصفات التي امتاز بها هؤلاء الأنصار حتى نالوا محبة غريب كربلاء ؟ هؤلاء الأصحاب ، وفي كل مقامات السعادة التي عرجوا فيها كانوا قلباً واحداً ، ورأياً واحداً ، ففي ليلة العاشر كان السرور يبدو عليهم بأجمعهم ، كانوا بجملتهم جماعة واحدة ، صلوا ظهر يوم العاشر جماعة ، عانوا الخوف جماعة ، وجاعوا وعطشوا مع بعضهم البعض ، وكانت أعمالهم كلها على نحو جماعي ، فصلت رؤوسهم عن أجسادهم مع بعضهم البعض ، ورفعت على رؤوس الرماح مع بعضهم البعض ، وغادرت كربلاء ، ثم عادت إليها ، وهي إلى جنب بعضها البعض ، وكانت كلها مجتمعة في قافلة السبي مع بعضها البعض .

والآن ، لنرَ حال أهل بيت الحسين (ع) ، وهم يقطعون الصحاري مع تلك
الرؤوس المقطعة ، ويدخلون على مجلس ابن زياد اللعين مجتمعين ، ويطوون الطريق
ليلاً ونهاراً مجتمعين حتى وصلوا إلى الشام ، ودخلوا مجلس الشؤم ، مجلس يزيد الكافر، لقد هتكت حرمتهم مجتمعين ، لكنهم كانوا جميعاً ينظرون إلى يزيد وهو ينكث شفاه أبي عبد الله وأسنانه بالخيزرانة ، وينشد الشعر .

بطولة أحد أصحاب أبي عبد الله (ع)

يوم العاشر من المحرم ، عندما أراد محمد بن بشير الحضرمي أخذ الإذن بالنزول إلى الميدان وصل إليه خبر بأن ابنه قد أُسر بثغر الري ، فقال :

عند الله احتسبه ونفسي، ما كنت أؤثر أن يؤسر وأبقى بعده .

فسمع الحسين ، عليه السلام ، قوله ، فأذن له في المضي . وقال له :

رحمك الله ، أنت في حل من بيعتي ، فاعمل في فكاك ابنك .

فقال : أكلتني السباع حياً إن فارقتك .

قال : فأعطِ ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه .[97]

تضحيات رائعة لبعض أصحاب سيد الشهداء (ع)

---

[96] - الإرشاد ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 92 .

[97] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج44 ، ص394 .

كان في كربلاء أشخاص نالوا شرف الشهادة دون أن يقاتلوا ، وهم الذين كانوا يحوطون سيد الشهداء ، ويطوفون حول الحسين المظلوم (ع) كالفراش ، يمنعون سهام القوم أن تصل إليه ، فيتلقونها بصدورهم ، ويشترونها بأرواحهم .

أحد هؤلاء سعيد بن عبد الله الحنفي ، فعندما أراد الحسين (ع) أن يصلي صلاة الظهر حاول جيش ابن سعد منعه ، فكانوا يرمونه بالسهام والرماح ، فجاء سعيد حتى وقف بين يديه يدرأ ذلك عنه بنفسه ، وما أن أتم (ع) الصلاة حتى أصيب سعيد
بثلاثة عشر سهماً ثم سقط على الأرض شهيداً .

وأحد هؤلاء أيضاً حنظلة بن سعد الشبامي ، سلام الله عليه ، الذي وقف متجهاً نحو الأعداء وظهره نحو الحسين (ع) وراح يتلقى السهام بوجهه وصدره ورقبته ويده ، وهو يتلو القرآن ، ويقول :

يا قوم ، لا تقتلوا حسيناً ، فيسحتكم الله بعذاب ، وقد خاب من افترى .[98]

ويعظ الكفار ، ولكنهم كانوا يشتمونه ، فقال له الحسين (ع) :

يا ابن سعد ، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ، ونهضوا إليك يشتمونك وأصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين .[99]

وأحد هؤلاء أيضاً عمرو بن قرظة الأنصاري ، الذي جاهد بين يدي الحسين (ع) مدافعاً عن سيد الشهداء ، ، وكان لا يأتي إلى الحسين سهم إلا اتقاه بيده ، ولا سيف إلا تلقاه بمهجته ، فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتى أثخن بالجراح ، فالتفت إلى الحسين وقال : يا ابن رسول الله أوفيت ؟

قال : نعم ، أنت أمامي في الجنة ، فاقرء رسول الله مني السلام ، وأعلمه أني في الأثر .

فقاتل حتى قتل ، رضوان الله عليه .[100]

ونحن الآن نتوجه بالتحية لهؤلاء الأحبة من أعماق قلوبنا ، ونقول لهم :

أيها الأحبة ، أنتم الذين منعتم السهام والرماح والخناجر أن تصل إلى شخصه المبارك ، ولكن أين كنتم بعد ذلك بساعة ، فلم تقفوا أمام سيل الرماح والسيوف والنبال عندما وقع الحسين (ع) صريعاً من شدة الضعف مستقبلاً الأرض بجبهته
الشريفة .

لا قطرة ماء لإفطار صائمي كربلاء

---

[98]- المصدر السابق ، ج 45 ، ص 23 .

[99] - المصدر السابق .

[100]- المصدر السابق ، ص 22 .

كان صيام سيد الشهداء في كربلاء نوعاً فريداً لم يتفق لأحد غيره ، وكان الصائمون يطلبون منه قطرة ماء ليفطروا عليها ، فقد عاد علي الأكبر من الميدان ، هذا الصائم الذي لم يذق الماء لعدة أيام (مع أنه كان ممن جلب الماء للأطفال) وقد كان آثر الأطفال بحصته من الماء في الأيام الأخيرة ، ولكنه بعد قتال شديد في ذلك الجو الكربلائي الملتهب الذي يستنفد الطاقة ، وعليه لامة الحرب ، جاء إلى أبيه قائلاً :

يا أبت ، العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدنى فهل إلى شربة من الماء سبيل ؟

فبكى الحسين ، عليه السلام ، وقال :

واغوثاه ، يا بني ، قاتل قليلاً ، فما أسرع ما تلقى جدك محمداً ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً .[101]

انظروا أي عطش أصاب علياً الأكبر ، هذا العطش المهلك الذي بشره الحسين (ع) بالخلاص منه ، ولكن بعد قتال قليل ، حين ينال وسام الشهادة .

السقَّاؤون لأهل بيت أبي عبد الله (ع)

سخَّر الله لعطاشى أبي عبد الله (ع) أربعة سقائين ، حيث غلب على أهل بيته العطش إلى درجة أن بعضهم كان يسقط على الأرض فلا يتمكن من النهوض .

فقد ورد في بعض المقاتل وصف عطش علي الأصغر (الرضيع) بأنه يتلظى من شدة العطش ، أي يتلوى كالسمكة التي وقعت على البر .

لقد سخر الله لهؤلاء العطاشى أربعة سقائين :

السقاء الأول هو النبي الأكرم (ص) ، فقد حمل بيده المباركة كأساً من الماء ووقف في ميدان كربلاء ، لكنه لم يكن يسقي أحداً إلا في وقت خاص ، وذلك بعد مقتله ، فكان يقدم لكل شهيد منهم كأساً من ماء كوثر الجنة ، إلا علي الأكبر ، فقد ورد في سلامه على أبيه أنه قال له :

يا أبتاه ، هذا جدي رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً .[102]

فعُلم من ذلك أنه روي في الدنيا بيد رسول الله (ص) .

ولنتحدث باختصار عن السقاء الثاني في كربلاء ، وهو أبو عبد الله نفسه ، لنرى ماذا فعل ؟ وكيف كانت حالة هذا السقاء ؟

---

[101]- اللهوف في قتلى الطفوف ، مصدر سابق ، ص 67 .

[102]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 44 .

ففي اليوم السابع وبعد منع الماء عن حرمه ذهب خلف الخيام واتجه إلى القبلة ثم سار تسعة عشر خطوة ، ثم أزاح مقداراً من التراب عن الأرض ، فظهرت عين ماء صافية ، فشرب جميع حرمه منه ، ثم اختفت .

وبعد ذلك لم يكن يتوفر في معسكر الحسين (ع) قطرة واحدة من الماء . فأرسل شخصاً إلى معسكر الأعداء يطلب منهم قليلاً من الماء ، فلم يعطوه ، ثم أرسل الحر ، فعاد خائباً ، ثم أرسل العباس ، فلم يعطوه شيئاً . فجاء إليهم بنفسه يسألهم بعض الماء فلم يوافقوا ، سألهم أن يسقوا النساء إن لم يرغبوا بسقاية الرجال حيث لا ضرر عليهم منهن ، إذ لسن أهل حرب وقتال ، فامتنعوا أيضاً . عندها طلب الماء لأصغر الأطفال علي الأصغر الذي كان يحتضر من شدة العطش ، وقال لهم :

ويلكم ، اسقوا هذا الرضيع ، أما ترونه يتلظى عطشاً .[103]

ولنتحدث الآن قليلاً عن سقاء كربلاء الثالث ، هذا السقاء هو قمر بني هاشم ، لنتحدث شيئاً ما عن السقاء الذي لم يجرؤ جيش الكوفة على الاقتراب من معسكر الحسين (ع) ما دام موجوداً فيه حياً ، ولم تشتد جرأتهم على الاقتراب من معسكر الحسين إلا بعد مقتله ، لنتحدث عن ذلك السقاء الذي كانت تربطه بالحسين (ع) علاقة خاصة حتى كان (ع) يخاطبه بقوله : بنفسي أنت .

عندما رأى هذا السقاء بعض أطفال أبي عبد الله (ع) قضوا عطشاً ، والبعض الآخر سقطوا على الأرض من شدة الضعف ، وقد علا في الأرجاء صوت : العطش ، العطش . تقدم نحو مشرعة الفرات وقاتل حراسها قتال الأبطال حتى أجلاهم عنها بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة ، ومع كل العطش الذي أصابه لم يذق قطرة ماء واحدة، وذلك لأنه تذكر كبد الحسين (ع) الحرى وعطش الأطفال والنساء ، ثم خرج ذلك السقاء الذي وصل إلى ماء الفرات بقلب ظمآن .

والآن ، لنتأمل : هل شرب أبو الفضل الماء من يد خاتم الأنبياء بعد بلوغه الشهادة ؟ أم أنه شرح له حاله ، وكيف أنه لم يشرب من ماء الفرات لأنه تذكر عطش أخيه الحسين (ع) ، وقال له : لن أشرب الماء الآن أيضاً ما دام الحسين عطشاناً ؟

وأما حكاية قطع يديه فإنكم تعرفونها ، لكنني سأذكر لكم شيئاً منها ، وهو أن كفي العباس وقعتا بين الفرات ومصارع القتلى ، ولما سمع الحسين (ع) صوته يناديه هب مسرعاً من المخيم نحو مصرعه ، (يقولون أنه أثناء مسيره نحوه رأى على الأرض يده المقطوعة فترجل والتقطها وقبلها)[104].

---

[103] - كلمات الإمام الحسين ، مصدر سابق ، ص 478 .

[104] - الظاهر أن هذا القول لا يصح ، بل هو من الأخطاء الشائعة بين قراء العزاء ، وذلك لأن كفه قطع قبل سقوطه في مصرعه وهو في طريقه إلى المخيم ، ما يفرض أن يكون موقع الكف بين المصرع

والآن ، تعالوا لنرى كيف كان حال هذا السقاء المظلوم عند سقوطه ، وقد خُرقت القربة ، وأريق ماؤها ، وقطعت يداه عن جسده المبارك .

عند ذلك وقف العباس ، ولم يتحرك ، لماذا ؟

لأنه لم يعد لديه ماء ليحمله إلى المخيم ، ولا يدان ليدافع بهما عن نفسه ، ولم يكن ليفكر بالفرار ، ولا بالمجيء إلى المخيم بدون ماء ، لأن صراخ النساء والأطفال من العطش كان يتناهى إلى مسمعه . وبينما هو واقف انهمرت عليه السام ، فصار جلده كالقنفذ . أما جواده الذي ورثه عن أبيه والذي يسمى العقاب ، فقد كان لسان حاله يقول من شدة الضعف : هيا بنا نخرج من هذا الميدان نحو المخيم .

وفجأة أصاب رأسه عمود حديدي فسقط عن جواده إلى الأرض .

وهنا ، ألفت النظر إلى نكتة هامة ، وهي تلك المصائب التي اجتمعت عليه ، فمن جهة سقوطه عن ظهر جواده إلى الأرض مع كل تلك السهام التي أطلقت عليه من كل صوب ، ومن جهة أخرى لم يكن لديه يدان لينزع تلك السهام التي انهمرت عليه من كل جانب ، ما أدى إلى استقرارها بعمق في جسده مع سقوطه عن ظهر الفرس إلى الأرض .

مصيبة علي الأكبر

ولنتحدث الآن قليلاً عن مصيبة شبيه النبي (ص) وبطل كربلاء علي الأكبر .

لو لم يتمكن أي مصاب من القضاء على الحسين (ع) ، ولم يكف مصاب العباس في القضاء عليه ، ولم يقضِ عليه مقتل القاسم ولا مقتل علي الأصغر ، ولم يتمكن العطش من تفتيت كبده (ع) لكان مصابه بعلي الأكبر وحده كافياً في القضاء عليه .

لقد كان علي الأكبر من الشجاعة بحيث قتل على ظمأ قلبه وجفاف لسانه عشرين فارساً ، وكان له من الفضل ما جعل خيار القوم وشرارهم يمدحونه ، وعندما

توجه نحو الأعداء علت الأصوات في جيش الكوفة :

الويل لنا ، لقد أتى رسول الله لقتالنا .

نقلوا أن معاوية قال لجلسائه يوماً :

من أحق الناس بهذا الأمر ؟

قالوا : أنت .

والمخيم ، ويلزم من ذلك أن يصل الحسين (ع) إلى المصرع قبل وصوله إلى موقع الكف ، والله العالم ، ولعله لأجل ذلك نسب المصنف هذا القول إلى غيره . (المترجم)

قال : لا ، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي.[105]
يقصد علي الأكبر .
ورووا أنه لما تقدم علي الأكبر من أبيه يطلب الإذن بالبراز إذن له مباشرة ، على خلاف ما كان يفعله مع الآخرين ، حيث كان يؤخرهم قليلاً .
فنظر الحسين إليه نظرة (الأفضل أن نقول أن احتضار الحسين بدأ من هذه
النظرة) ، ليست نظرة شوق ، ولا نظرة تحسر ، ولا نظرة خوف ، لأنه كان يعلم ماذا ينتظره ، ولكنه كانت نظرة يأس منه ، حيث جاء في الرواية :
ثم نظر إليه نظرة آيس منه .[106]
ثم إن الحسين (ع) ألبسه الدرع ، وشد وسطه بسلاحه ، فخرجت المخدرات ، وأحطن به كالفراش حول المصباح ، وتعلقن بأطرافه ودموعهن تنهمل من عيونهن ، وقد وصل صراخهن إلى عنان السماء ، فتقدم الحسين (ع) نحوهن وقال لهن : دعينه .
لا ريب أن هذا الوداع أحرق قلبيهما ، ولكنني لست أدري أيهما كانت غصته أكبر ؟ غصة علي الأكبر وهو يعلم أن أباه سيبقى بعده وحيداً ، أم غصة الأب بفقدان ولده علي الأكبر ؟
ما أن تحرك قليلاً حتى "أرخى ، عليه السلام ، عينه ، وبكى ، ثم قال :
اللهم أشهد فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك ، صلى الله عليه وآله وسلم ".[107]
قالوا : لو أن أحداً كان قد سمع صوت النبي ، ثم سمع علياً الأكبر يتحدث من وراء جدار لظن أن المتكلم هو النبي (ص) .
لهذا قال (ع) : وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه .[108]
وكان الحسين (ع) عندما يشتاق إلى صوت تلاوة النبي (ص) يدعو علياً الأكبر ليقرأ له القرآن .
الآن وقد مضى هذا الشاب نحو الميدان ، راح الحسين (ع) ينظر إليه تارة ، وإلى جيش ابن زياد اللعين تارة أخرى ، ثم يبكي قليلاً ، ويقبض على لحيته الشريفة متابعاً علياً الأكبر بعينيه الدامعتين .

---

[105] - مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الاصفهاني ، تحقيق كاظم المظفر ، دار الكتاب ، 1965 ، قم ، ط. 2 ، ص 52 .
[106]- اللهوف ، مصدر سابق ، ص 67 .
[107] - المصدر السابق .
[108] - المصدر السابق .

ثم يمشي قليلاً خلفه نحو الميدان ، إذ القلب لا يقدر على الفراق . مشى حتى صار من الجيش بحيث يسمعون صوته ، وهو يتلو القرآن خلف رأس ولده ، ثم قال :

"يا بن سعد ، قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ".[109]

لا بد أنكم سمعتم بقية المصيبة ، تقدم نحو القوم ، فقاتل قتالاً شديداً ، ثم رجع إلى أبيه ، وقد أصابته جراحات كثيرة ، فقال :

يا أبه ! العطش قد قتلني .[110]

فاحتار الحسين (ع) بماذا يجيبه ، فبكى (ع) ، وقال له :

ضع لسانك على لساني .

ثم قال : ارجع إلى قتال عدوك .[111]

يعني في جوابه كناية عن أنه لم يبق من عمرك إلا لحظات قليلة ، ولا سبيل إلى الخلاص من العطش إلا بالشهادة ، فرجع علي الأكبر إلى الميدان ، وجلس الحسين في الخيمة حتى سمع علياً يسلم عليه ، فوقف لا شعورياً وقال : يا بني ، قتلوك ؟

تقول سكينة : في هذه اللحظة وقع نظري على أبي ، وهو جالس في الخيمة ، فرأيت عينيه تدوران كأن روحه تخرج من بدنه ، شعرت أنه يحتضر .[112]

تناهى إلى مسمع الحسين ثلاثة أصوات صادرة من علي الأكبر :

الأول : نداء علي ، وهو يسلم عليه .

والثاني : صوت أنينه وهو يتوجع .

ولكنه ما أن سمع الصوت الثالث حتى خرج من الخيمة يسير نحو مصرع علي الأكبر رويداً رويداً على خلاف ما كان يفعله مع بقية الشهداء .

لا أدري ما السبب في ذلك ؟

لعله لأجل أنه لما سمع الصوت الثالث لم يعد لديه طاقة على الحركة ليصل بسرعة إلى مصرع ولده علي الأكبر .

جاء في بعض الروايات أن الحسين (ع) عندما وصل إلى مصرع علي الأكبر وجد امرأة تجلس عند رأسه ، وهي تبكي .[113]

ونقل بعضهم أنه عندما وصل إلى جسد علي الأكبر جلس إلى جنبه ، ولا أدري هل جلس بإرادته أم تهاوى لا إرادياً على جسده ؟ ثم أخذ رأسه ووضعه

---

[109] - المصدر السابق .

[110]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 43 .

[111] - المصدر السابق .

[112]- لم نجد له مصدراً . (المترجم)

[113] - لم نجد له مصدراً . ومن غير الواضح من يعني بهذه المرأة . (المترجم)

في حجره ، لكن قلبه لم يهدأ ، فرفع رأسه وألصقه بصدره ، فلم يسكن فؤاده ، فهو من جهة لا يستطيع أن يظهر أمام جيش الأعداء بمظهر الضعيف ، ومن جهة أخرى لا يتمكن من أن يهدأ ، فوضع خده على خده ، فوجده قد فارق الحياة ، فلم يتمكن من محادثته .

ولعل علياً الأكبر هو الشهيد الوحيد الذي وصل الحسين (ع) إلى مصرعه فوجده قد فارق الحياة ، وهذا ما جعل الأمر أكثر إيلاماً على قلب الإمام (ع) ، فقال :

يا علي ، على الدنيا بعدك العفا .[114]

مصيبة القاسم بن الحسن

جاء القاسم بن الحسن ، عليه السلام ، يطلب الإجازة بالبراز ، فلم يأذن له الحسين (ع) ، فجلس مهموما مغموماً باكي العين حزين القلب ، ووضع رأسه على رجليه ، وأخذ بالبكاء ، وذكر أن أباه قد ربط له عوذة في كتفه الأيمن ، وقال له :

يا ولدي قاسم ، أوصيك أنك إذا رأيت عمك الحسين ، عليه السلام ، في كربلاء ، وقد أحاطت به الأعداء ، فلا تترك البراز والجهاد لأعداء الله وأعداء رسول الله، ولا تبخل عليه بروحك ، فقام القاسم من ساعته ، وأتى الحسين ، عليه السلام ، وعرض ما كتب الحسن ، عليه السلام ، على عمه الحسين ، عليه السلام .

فلما قرأ الحسين ، عليه السلام ، العوذة بكى بكاء شديداً .

فلماذا يا ترى لم يأذن له الحسين بالبراز ؟

جاء في الروايات أنه برز وهو صغير ، لم يبلغ الحلم ، لذا لم يكن الجهاد واجباً عليه .

تقدم القاسم ، وأعاد طلب الإذن بالنزول إلى الميدان ، فلما نظر الحسين إليه قد برز ، اعتنقه ، وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما ، ثم استأذن الحسين ، عليه السلام، في المبارزة ، فأبى الحسين أن يأذن له .

فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه حتى أذن له .[115]

فألبسه لامة الحرب بيده ، وقلده سيفه ، وأسدل عمامته قليلاً على وجهه .

ولعل السبب في ذلك أن لا يلتفت الأعداء إلى صغر سنه ، فيتجاسروا على قتله . كان القاسم " كأن وجهه شقة قمر ."[116]

(شعر فارسي)

---

[114] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج45 ، ص 44 .

[115] - المصدر السابق ، ص 34 .

[116] - مقاتل الطالبيين ، مصدر سابق ، ص 58 .

كل من رآك منطلقاً على فرسك سريعا قال :

إلى أين تأخذ الريح ورقة الزهرة الحمراء هذه؟

برز إلى الميدان وهو يرتجز :

إن تنكروني فأنا ابن الحسن سبط النبي المصطفى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناس لا سقوا صوب المزن[117]

ناداهم للمبارزة ، وقاتلهم حتى قتل منهم عشرين فارساً ، فغلب عليه العطش، ورجع إلى الإمام (ع) قائلاً :

العطش العطش ، أدركني بشربة من الماء .

فأمره الحسين (ع) بالصبر ، فعاد ثانية إلى الميدان ، وأحاط به جمع من الأعداء ، فضربه ظالم منهم بالسيف على رأسه من الخلف ففلقه ، وكانت الضربة قوية إلى درجة أنها أعيت القاسم عن الوقوف .

"فوقع الغلام لوجهه ، ونادى : يا عماه .

فجاء الحسين كالصقر المنقض ، فتخلل الصفوف ، وشد شدة الليث الحرِب ، فضرب عمراُ قاتله بالسيف ، فاتقاه بيده ، فأطنها من المرفق ."[118]

كان القاسم يصيح : يا عماه خلصني من هذا الظالم .

نقلوا أن أصحاب الحسين عندما كانوا يسقطون على الأرض كانوا ينادون الحسين مرة واحدة لا أكثر ، إلا أن القاسم كان يكرر النداء : يا عماه ، يا عماه ، أدركني. علماً أن الحسين (ع) كان واقفاً عند رأسه .

فما هو السر في ذلك يا ترى ؟

تقول الرواية :

وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمراً من الحسين ، فاستقبلته بصدورها ، وجرحته بحوافرها ، ووطئته حتى مات الغلام .[119]

بسبب الضربة القوية التي تلقاها لم يكن قادراً على الحركة لهذا استقبلته الخيول وداسته بحوافرها فنادى : يا عماه . وربما نادى : يا أماه . وكانت أمه تسمع صوته.

يقول حميد بن مسلم :

فانجلت الغبرة ، فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام ، وهو يفحص برجله ، فقال الحسين (ع) :

يعز ، والله ، على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا يعينك ، أو يعينك فلا يغني عنك .

يقول الراوي :

---

[117] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 34 .

[118] - المصدر السابق .

[119] - المصدر السابق .

ثم احتمله ، فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض ، وقد وضع صدره على صدره ، فقلت في نفسي : ما يصنع ؟

فجاء حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته .[120]

لماذا حمله الحسين (ع) بهذه الطريقة نحو المخيم ، مع أنه كان صغيراً ؟ لعل ثقل مصابه بالقاسم أحنى ظهره .

وهناك احتمال آخر ، وهو أنه لكثرة جراحات القاسم منعته من رفعه وإيصاله إلى المخيم ، لهذا سحبه نحوه سحباً ، وألقى جسده المضرج بدمائه بين الشهداء من أهل بيته ، إلى جنب علي الأكبر وعون وجعفر .

صاحت حُرم الحسين (ع) من هول فاجعة القاسم ، وبكت ، وناحت ، فقال لهن (ع) : صبراً ، يا أهل بيتي .

يا أبا عبد الله ، عندما سقطت بين مصارع القتلى على الأرض ، ورجع جوادك إلى المخيم خالياً من صاحبه ، من الذي أمر النساء بالصبر ، عندما كان كل واحد منهم يسأل ذا الجناح عنك ؟

كلام الحر مع جيش ابن سعد في غربة أبي عبد الله (ع)

عندما قبل الحسين (ع) توبة الحر قال له الحر :

يا ابن رسول الله ، كنت أول خارج عليك ، فأذن لي لأكون أول قتيل بين يديك.[121]

ربما كان مراد الحر أنه "بما أنني كنت أول من أدخل الخوف والرعب على قلوب أهل حرمك ، فإني أريد أن أكون أول من يدخل البشرى على قلوبهم المقدسة من خلال نصرتك والشهادة معك ."

تقدم الحر إلى الميدان وخاطب أهل الكوفة بكلام يفتت القلوب ، ويلهب النفوس فقال لهم :

يا أهل الكوفة ، لأمكم الهبل والعبر ، أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه ؟ وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه ؟ أمسكتم بنفسه ، وأخذتم بكلكله ، وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة ، فصار كالأسير في أيديكم ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً ، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري تشربه اليهود والنصارى والمجوس ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابهم ، وهاهم قد صرعهم العطش ، بئسما خلفتم محمداً في ذريته ، لا سقاكم الله يوم الظمأ .[122]

---

[120]- المصدر السابق ، ص 36 .

[121] - المصدر السابق ، ص 13 .

[122]- المصدر السابق ، ص 11 .

مظلومية رأس أبي عبد الله في مجلس ابن زياد

كان أحد مقاطع الرجز التي أنشدها علي الأكبر يوم عاشوراء قوله :

والله لا يحكم فينا ابن الدعي .

ونحن نقول له : أين كنت يا علي بن الحسين لترى رأس أبيك أسيراً في مجلس الدعي ابن زياد ، وكيف تعامل ذلك الملعون معه ، فإنه عندما وضعوا الرأس المبارك أمامه بدأ اللعين بالقهقهة بصوت عالٍ ، وهو يشير إلى شفتي الحسين وأسنانه بعود من الخيزران .

والآن تعالوا نخاطب الشهداء :

السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله ، السلام عليكم يا أنصار الله ورسوله وأمير المؤمنين . أيها الشهداء المحبون للحسين (ع) ، لقد دافع الحسين عنكم يوم عاشوراء في عدة مواضع ، فقد كان يأتي إلى مصرع كل واحد منكم يمنعه من أن يزاد في جراحاته وهو يحتضر ، ويلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقد دافع عنكم حينما منع الأعداء من أن يفصلوا رؤوسكم عن أبدانكم ، وقد منعكم من أن يسلبكم جيش ابن سعد لباسكم عن أجسادكم ليتركوكم عراة ، وقد دافع عنكم حين حفظ أجسامكم من التمزق والتفرق هنا وهناك في الصحراء ، ثم دافع عنكم بمنع الخيول من أن تطأ
صدوركم بحوافرها .

ولكن ، هل علمتم أية دواهٍ ألمت بهذا المظلوم بعدكم ؟ فقد كانوا يضربونه في لحظة احتضاره بالسيوف والرماح والحجارة ، ثم جردوه من قميصه ، وحزوا رأسه من القفا ، وحملوا على جسده يطأونه بحوافر خيولهم .

خطبة سيد الشهداء يوم العاشر في جيش الكوفة

اقترب الحسين (ع) يوم العاشر من الأعداء حتى أحاطوا به من كل جانب فجعلوه في مثل الحلقة ، فاستنصتهم ، فأبوا أن ينصتوا ، حتى قال لهم :

ويلكم ، ما عليكم أن تنصتوا إلي ، فتسمعوا قولي ... ويلكم ، ألا تنصتون ؟ ألا تسمعون ؟

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا : أنصتوا له .[123]

فوعظهم بخطبة طويلة ، فلم يجبه أحد .

فقال عمر : ويلكم كلموه فانه ابن أبيه ، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ، ولما حُصر ، فكلِّموه .

فتقدم شمر ، لعنه الله ، فقال : يا حسين ما هذا الذي تقول ؟ أفهمنا حتى نفهم .

---

[123]- المصدر السابق ، ص 8 .

(لقد اجترئ اللعين على الإمام (ع).)

فقال : أقول : اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني ، فانه لا يحل لكم قتلي ، ولا انتهاك حرمتي ، فإني ابن بنت نبيكم ، وجدتي خديجة زوجة نبيكم ، ولعله قد بلغكم قول نبيكم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .[124]

لا ريب أن الحسين (ع) كان يعلم أن كلامه لن يؤثر فيهم ، ولكنه قال ما قال إتماماً للحجة .

والآن ، تعالوا لنرَ هل أجابوه أم لا ؟

يكفي أن أقول لكم : إ نهم لم يتركوه يصلي صلاة الظهر بطمأنينة ، بل راحوا يرشقونه بالسهام والرماح حتى أن أحد السهام أصاب جسده الشريف حال الصلاة ، ما جعله يصلي صلاة الخوف .

شجاعة الحسين (ع) يوم عاشوراء

من الطبيعي أن يتحدث الجميع عن مصائب أبي عبد الله (ع) ، ولكن يجب أن تعطى شجاعته حقها ، لقد دعا الناس إلى البراز فتهافتوا إليه ، فثبت لهم ثبات الجبل ، فما بقي شجاع إلا وبرز إليه حتى لم يبق فيهم شجاع إلا وقتل أو فر ، لم يبرز إليه بعد ذلك أحد ، فحمل عليهم بنفسه الشريفة .

يقول الراوي : فانهزموا من بين يديه كالجراد المنتشر . وكانت راياتهم تتساقط من أيديهم . وكان يحمل على الميمنة والميسرة والقلب حتى ظهرت الفوضى فيهم ، وهم ثلاثون ألفاً ، ثم رجع إلى مركزه وقال :

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .[125]

كان ذلك عندما رأى أنهم فروا من أمامه ، وانهزموا ، وكان يرفع صوته بقول :

لا حول ولا قوة إلا بالله ، ليسمع زينب تخفيفاً لغمها وحزنها ، وكأنه يقول لها :

لا تحزني ، يا أخية ، فإن أخاك ما زال حياً في الميدان ، لم تفقديه بعد .

تشتت الجيش ، وابتعد الجميع عنه (ع) . لقد كان واقفاً بينهم ، ولكنهم لم يجرؤوا من الاقتراب منه .

وفجأة قصد أحدهم التعرض لمخيم النساء ، فاضطرب (ع) وقال :

أنا الذي أقاتلكم ، وتقاتلوني ، والنساء ليس عليهن جناح ، فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي مادمت حيا .

فقال شمر : لك هذا .

---

[124]- المصدر السابق ، ص 6 .

[125]- مثير الأحزان ، مصدر سابق ، ص 54 ، بتصرف .

ثم صاح شمر : إليكم عن حرم الرجل ، فاقصدوه في نفسه ، فلعمري لهو كفو كريم.[126]

يقصد بذلك أنه ابن علي أمير المؤمنين (ع) .

ثم حمل عليهم من جديد ، فقتل منهم جماعة ، ثم وقف هنيهة في وسط الميدان، فحانت منه التفاتة إلى الفرات ، وكان إلى ذلك الحين لا يشعرهم بعطشه ، حتى لاحظوا نظره إلى الفرات فقال لعين منهم :

ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ؟ والله ، لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً.[127]

ثم رجع الحسين (ع) إلى الحرم ليجدد الوداع ، فأوصاهن بوضع الحجاب على رؤوسهن (أي تجهزن للأسر) .

يقول الراوي :

ملأ الدم ثقوب الدرع من كثرة ما أصيب من الجراح حتى نال منه التعب والعطش ، فوقف يستريح قليلاً ، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر ، فوقع في جبهته ، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه ، فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب ، فوقع السهم في صدره ، [128] حيث كان النبي يقبله مراراً وتكراراً ، فخرج الدم كالميزاب ، وكلما حاول أن ينتزعه لم يتمكن ، فأخرجه من ظهره ، وقال : عليه السلام :

" بسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله ".[129]

إن هذا السهم أثر به إلى الحد الذي لم يعد قادراً معه على الضرب بالسيف ، هذا ، والأعداء ينظرون إليه من بعيد ، ولا يجرؤون على الاقتراب منه .

تأملوا إلى أي حد بلغت غربة الحسين (ع) ، حيث لم يبق معه سوى سيف واحد ، ثم سلب منه قدرة الضرب به . ومن المعلوم أن سيفه سقط من يده .

ولو نظرنا نظرة بعين القلب لرأينا حجم المعاناة التي ألمت به ، حيث أحاط به جيش الكوفة من كل جانب ، وهو لا يزال على ظهر جواده ، ولكن لم تمض فترة وجيزة حتى سقط عنه على وجهه نحو الأرض ، وبعد لحظة أخرى جاءوا يقلبونه على وجهه ليفصلوا رأسه الشريف عن بدنه .

126- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 51 .

127 - مثير الأحزان ، مصدر سابق ، ص 53 .

128- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 53 .

129 - المصدر السابق .

ولو نظرنا مرة أخرى بعين القلب لرأينا وسط الميدان حيث مصارع القتلى أربعة أشياء منيرة بين الغبار المتعالي ، اثنان منها يتجهان من الأرض إلى السماء ، واثنان يتجهان من السماء إلى الأرض .

النور الأول الذي يتجه من السماء إلى الأرض هو نور جبرائيل الأمين ، وكأن لديه ما يقوله .

والنور الثاني هو نور النبي الأكرم (ص) متغير الحال ، قد نزع عمامته عن رأسه .

والآن ، لننظر ما هما ذانك النوران الأرضيان ، النور الأول ملكي ، وهو نور دم الحسين (ع) الذي جُمع في قارورة زمردية ، ثم ارتفع إلى السماء .

أما النور الثاني فلم يرتفع عن الأرض كثيراً ، لم يرتفع إلا بمقدار طول رمح ، ولو تأملنا جيداً لرأينا رأساً فوق ذلك الرمح ، ولو دققنا النظر أكثر لرأينا رأس الحسين المقطوع مرفوعاً على رأس الرمح .

ليلة عاشوراء

تعالوا لنسافر بقلوبنا إلى خيمة أبي عبد الله (ع) ليلة عاشوراء ، لنرى الحسين (ع) وقد جلس في خيمته يصلح سيفه ، وهو يردد :

يا دهر أف لك من خليل ...إلخ

فلما سمعته زينب لم تملك نفسها أن وثبت تجر ذيلها ، وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه ، فقالت :

هذا كلام من أيقن بالموت .

فقال لها : نعم يا أختاه .[130]

غداً سوف أقتل ، ويقطع رأسي .

فقالت زينب : ألم يبق لك خيار آخر .[131]

وهنا كشفت عن رأسها وشقت ثوبها (طبعاً لم يكن في الخيمة أحد غير الحسين (ع) .)

كانت زينب مضطربة ، ففي الحقيقة بدأت مصيبتها من ليلة العاشر . ماذا ستفعل غداً ، وأهل بيتها سيصبحون شهداء في أقرب وقت ؟ ومع ذلك لم يسمح اللعين ابن سعد لأحد أن يبكي تلك الليلة عند أجساد الشهداء، ويقيم العزاء عليهم.

---

[130]- مثير الأحزان ، مصدر سابق ، ص 35 . بتصرف .

[131] - القول مترجم .(المترجم)

وصباح اليوم التالي سارت مسبيَّة إلى الكوفة ، فألقت نظرة إلى جثمان أخيها بحزن وحسرة ، وقالت : أما فيكم مسلم ؟ ألا ترون جسد ابن رسول الله مقطعاً إرباً إرباً بلا غسل ولا كفن ودون دفن ملقى على الرمضاء عرياناً ؟

ليت مصيبة زينب وقفت عند هذا الحد ، فاقتصرت على عدم تغسيل وتكفين
جسد أخيها ، ولم ترَ رأسه المبارك في مجلس الدعي ابن زياد ، وفوق ذلك ضحكه
بصوت عالٍ عندما رأى الرأس الشريف.

عبادة سيد الشهداء (ع)

عبد سيد الشهداء (ع) ربه عبادة لم يعبدها أحد إلى الآن سوى النبي وعلي وفاطمة والحسن ، عليهم السلام . فقد صلى في كربلاء ، والسهام والرماح تنصب عليه كالمطر ، ولم يصلِّ أحد مثل هذه الصلاة ، و صام يوم العاشر ، حيث لا يصوم أحد على مثل تلك الحال . وأدى زكاةً لم يؤدِ الأنبياء والأولياء والصلحاء مثلها .

ولقد أغاث أصحابه بما لا مثيل له ، عاد المريض كما لم يفعل أحد إلى اليوم ، وشيع الجنائز كما لم يفعله غيره ، ربع الجنازة تربيعاً لم يحصل من سواه (يستحب تربيع الجنازة وهو أن يحملها أربعة أشخاص من أطرافها الأربعة) ، حيث كان ينوب في حملها عن الأربعة وهو عطشان ، ويوصلها إلى الحرم .

أداء أبي عبد الله (ع) صلاة الخوف

قيل لعلي بن الحسين (ع) :
ما أقل ولد أبيك ؟ !
قال : العجب كيف وُلد له ، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء ؟[132]

فهل استطاع الحسين (ع) أن يصلي ليلة العاشر تلك الصلوات ؟ مع أنه في اليوم العاشر لم يتمكن إلا من صلاة الخوف تحت وابل السهام والنبال والرماح .

تعالوا لأبين لكم ما هي صلاة الخوف ، لتشعر قلوبنا بحرقة مصاب أبي عبدالله (ع) أكثر فأكثر.

---

[132]- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، (الإسلامية) ، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 3 ، ص 74 .

لصلاة الخوف عدة كيفيات ، منها أن يستبدل كل ركعة بالتسبيحات الأربعة ، فيقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

لاحظوا كم هي مختصرة هذه الصلاة ، ثم تأملوا كم نزل عليه خلالها من السهام والنبال حتى أن بعضها أصاب بدنه الشريف .

روحي فداك يا حسين ، فلقد صليت صلاة لم يصلِّ مثلها تحت وابل السهام والنبال نبي ولا إمام .

أحداث اليوم العاشر ووقائع أداء الصلاة

ظهر عاشوراء تقدم أحد أصحاب الإمام الحسين (ع) ، وقال له :

يا أبا عبد الله ، نفسي لنفسك الفداء هؤلاء اقتربوا منك ، ولا ، والله ، لا تقتل حتى أقتل دونك ، وأحب أن ألقى الله ربي ، وقد صليت هذه الصلاة .

فرفع الحسين رأسه إلى السماء ، وقال :

ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين . نعم ، هذا أول وقتها .

ثم قال : سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي .[133]

يروى أنه رفع الأذان بنفسه ، ولكنه رأى أن أولئك الظلمة لا يتوقفون عن القتال ، فنادى :

الويل لك ، يا ابن سعد ، أنسيت أحكام الشرع الحنيف ؟ أفلا تمهلونا لنقيم الصلاة ؟[134]

انظروا إلى هذه المصيبة ، فالحسين بات يحتاج أن يطلب المهلة من أحد الظلمة ليقيم الصلاة . والأشد من ذلك أن ابن سعد لم يستجب لطلبه . بل أقول لكم ما هو أمر وأدهى :

أجابه لعين يقال له الحصين بن نمير : إنها لا تقبل .

فقال حبيب بن مظاهر (الذي كان واقفاً أمام الحسين يرد عنه السهام والنبال) :

لا تقبل الصلاة ، زعمت ، من ابن رسول الله ، وتقبل منك يا ختَّار (خمَّار) ؟

فحمل عليه حصين بن نمير ، وحمل عليه حبيب....[135]

فسلم حبيب على الإمام (ع) ، وقال له :

والله ، إني لآمل أن لا أتم صلاتي حتى أكون أمامك في الجنة ، فأوصل سلامك إلى النبي وأبيك وأمك وأخيك .[136]

---

[133]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 21 .

[134] - لم نجد النص في مصدر . (المترجم)

[135]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 21 .

ربما كان الحسين (ع) قد أتم صلاته عندما تناهى إلى مسمعه صوت حبيب بن مظاهر وهو يقول : السلام عليك ، يا أبا عبد الله .

خوف أبي عبد الله (ع)

تعالوا لنتوسل بمن جمع خوف العالم كله ، ونبكي على من بكى عليه النبي (ص) بكاء شديداً .

عندما نطالع سيرة أنبياء الله وأوصيائهم نجد أن كل واحد منهم كان يعاني من خوف معين ، أو من خوف أمرين ، أو ثلاثة ، أو أكثر بقليل ، أما أبو عبد الله، فقد اجتمعت عليه كل أنواع الخوف . كان لديه خوف على الفتيان من أصحابه وعلى أهل بيته من العطش والجوع ، وخوف من أن تسلب الغارة حُرمَه ، وكان على رأس تلك
المخاوف خوفه على أهل بيته وأخواته وبناته أن يعاملن بقسوة وأن يُجترأ عليهن .

وهناك خوف آخر لا يشابهه خوف ، وهو خوفه من بقاء بدنه عرياناً على أرض كربلاء ، وسلبه حتى ثيابه الممزقة عن بدنه ، ولكنه كان مع كل تلك المخاوف ، وكلما اشتد عليه الأمر يزداد وجهه إشراقاً ، (كأنه لم يرَ شدة أبداً) كأنه لم يعانِ قسوة أية مصيبة ، كأنه لم يرَ مصيبة علي الأكبر والعباس ، كأنه لم يشهد مصيبة أصحابه وخيرة الشبان .كان كلما اجتمعت عليه المصائب ازداد اطمئناناً وسكينة ووقاراً .

ولكن ، ماذا أقول في ذلك الخوف الذي لم يستطع الحسين (ع) تحمله ، وهو خوف مصيبة هجوم جيش ابن سعد على المخيم وعلى حُرمه ، لقد كانت هذه المصيبة قاسية عليه ، فمع أنه لم يطلب طيلة وقعة عاشوراء من الأعداء شيئاً ، فلم يقل لهم : لا تقتلوا فلاناً ، أو لا تضربوا الشهيد الفلاني بالسيف ، أو لا تقطعوا رؤوس الشهداء ، إلا أنه اضطر إلى التماس أمر واحد منهم ، حيث قال لهم :

امنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً .[137]

لماذا فعل ذلك ؟ لأنه يعلم أنهم سيغيرون على المخيم بعد شهادته ، ويسرقون الأقراط من آذان الأطفال ، حتى مهد علي الأصغر الرضيع لن يسلم من النهب .

حج أبي عبد الله (ع) في كربلاء

---

[136] - لم نجد النص في مصدر . والظاهر أن حبيب بن مظاهر لم يقتل عند الصلاة ، بل بعدها بمدة ، حيث يظهر من المقاتل أنه استشهد بعد شهادة عدد ممن برزوا بعد الصلاة ، فراجع .(المترجم)

[137] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص51 .

مع أن الإمام الحسين (ع) لم يكن قد أتم مناسك حجه ألا أنه أدى فريضة الحج في كربلاء على نحو لم ولن يؤديها أحد مثله . فكيف كان حجه يا ترى ؟

من المتعارف عليه أن الحجاج يلبسون قطعتين من القماش غير المخيط ، وهكذا فعل الحسين (ع) ، فقد كان إحرامه الأول دماءه التي غطته من رأسه إلى قدمه من كثرة الجراحات وطعن السيوف والرماح ، والآخر التراب الذي عفر جسده المدمى
على رمضاء كربلاء .

ونسأل : كيف كان طوافه ؟

نحن نعلم أن الطواف الحقيقي هو طواف القلب ، أي أنه يجب على الحاج أن يقطع رجاءه من كل ما سوى الله ، بحيث لا يبقى في قلبه إلا محبة الله ، عندها يطوف حول بيت الله بقلب خالص من الشرك ومن كل علاقة بغير الله . والحسين (ع) لم يقتصر على إخراج كل ما سوى الله من قلبه ، بل إنه جعل عروق قلبه هدفاً للسهم المثلث ، حتى تقطعت أوصاله في محبة الله أشلاءً متناثرة .

جاء في بعض المقاتل :

... فوقف يستريح ساعة ، وقد ضعف عن القتال ، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته ، (فماذا فعل حسين الزهراء ؟) فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته، فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب ، فوقع على قلبه ، فقال :

بسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم رفع رأسه إلى السماء ، وقال :

إلهي ، أنت تعلم أنهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره.[138]

هل تعلمون كيف تقطعت عروق ذلك القلب الرقيق ؟

أقول : يا أبا عبد الله ، كم كان قلبك كبيراً ليكون هدفاً لسهم ذي ثلاث شعب؟ لو أن سهماً واحداً بشعبة واحدة أصابه لقطّعه ، فما بال سهم ذي ثلاث شعب ، وهو مسموم أيضاً ؟

لا أدري ما الذي فعله ذلك السهم بقلب أبي عبد الله ؟ ولا ماذا فعل السم بكبده ؟

" ثم أخذ السهم ، فأخرجه من وراء ظهره ، فانبعث الدم كأنه ميزاب ، فضعف عن القتال ".[139]

---

[138]- اللهوف في قتلى الطفوف ، مصدر سابق ، ص 71 .

[139] - المصدر السابق .

ربما في هذه اللحظات التي ضعف فيها عن القتال طعنه اللعين سنان بطرف رمحه ، فسقط السيف من يده ، وسقط عن ظهر جواده على وجهه الشريف إلى الأرض.

حِجج سيد الشهداء

حج سيد الشهداء أيام عمره الشريف 22 أو 25 حجة ، كان بعضها مشياً ، وبعضها ركوباً .

قال بعض الرواة :

رأيت الحسن والحسين يمشيان إلى الحج فلم يمرا براكب إلا نزل يمشي فثقل ذلك على بعضهم ، فقال سعد بن أبي وقاص للحسن :

يا أبا محمد ، إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك من الناس . إذا رأوكما تمشيان لم تطب أنفسهم أن يركبوا ، فلمَ ما ركبتما ؟

فقال الحسن : لا نركب ، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا ، ولكنا نتنكب عن الطريق .

فأخذا جانبا من الناس .[140]

كان هذا سلوك سعد بن أبي وقاص والد عمر بن سعد مع الإمام الحسين (ع)، ولكن كيف كانت معاملة ابن سعد مع سيد الشهداء ؟ كيف احترمه وراعى حرمته **!!؟**

عندما رأى عمر بن سعد أن الحسين (ع) قد سقط عن جواده أمر الخيالة أن يركبوا ، فركبوا . أتدرون ماذا فعلوا ؟ راحوا يطؤون الحسين بحوافر خيولهم ، نعم ، يطؤونه بجيادهم إلى الحد الذي لم يعد يتميز صدره عن ظهره ، فأصبح بدنه ممزقاً أشلاءً .

ولما جاء بنو أسد يريدون دفن جثمانه قالوا للإمام السجاد (ع) :

يا ابن رسول الله ، رأينا جسداً كلما رفعنا منه قطعة وقعت قطعة على الأرض. فقال (ع) : هذا جسد والدي الحسين ، دعوه ، فأنا أتولى دفنه .[141]

مناسك حج أبي عبد الله في كربلاء

كلنا نعلم أن الأعداء لم يدعوا الحسين (ع) يكمل حجه ، ولذا أبدله بعمرة ، وخرج من مكة .

وهنا نتأمل قليلاً في الحج الذي أداه الحسين (ع) في طريقه إلى كربلاء .

---

[140]- مناقب آل أبي طالب ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 168 .

[141] - لم نجد النص في مصدر . (المترجم)

لقد حج (ع) حجاً لم ولن يحج مثله أحد غيره ، اصطحب معه قرابينه إلى كربلاء ، حيث لم يتيسر لأحد قبله ولا بعده إلى آخر الدهر هديٌ كذاك الذي اصطحبه معه ، إنه شبيه رسول الله (ص) علي الأكبر الفتى الطيب عزيز الحسين (ع) .

أحد مناسك الحج السعي ، فبعدما ينتهي الحجاج من الطواف حول الكعبة سبعة أشواط يسعون بين جبلي الصفا والمروة ، ويشتمل هذا السعي على جزء يكون السعي فيه سريعاً يسمى " الهرولة" .

لنرَ معاً كيف سعى أبو عبد الله في كربلاء ، بل لنرَ هل سعى ، أم لا ؟

نعم ، لقد سعى (ع) ، ولكن سعيه لم يكن سبعة أشواط ، بل كان سبعين شوطاً .

من أين ، وإلى أين ؟

من المخيم إلى مصارع القتلى ، ومن مصارع القتلى إلى المخيم . وقد أنهكه التعب والعطش . فما أن تطأ قدمه أرض المخيم حتى يرتفع وراءه صوت أحد أصحابه أو أهل بيته ينادي :

يا أبا عبد الله ، أدركني .

سيدي ، أدركني .

يا أخاه ، أدرك أخاك .

يا أبتاه ، عليك مني السلام .

يا عماه ، أدركني .

كان لسعي الحسين (ع) بين المخيم ومصارع القتلى حالات مختلفة .

فمن أجل القاسم "جاء الحسين كالصقر المنقض".[142]واحتضن رأس القاسم ، إذ كان نداء يتيم الحسن: يا عماه . عالياً ومتكرراً.

ولكن لنرَ ماذا فعل (ع) عندما سمع صوت علي الأكبر ، وكيف خرج من الخيمة إلى مصرعه ؟ هل جاءه على عجَل أم متأنياً هادئاً ؟

قالوا : عندما سمع صوت ولده علي الأكبر لم يبق في بدنه الشريف طاقة على المسير ، فكان تارة يسرع وتارة يسير على مهل . ولماذا على مهل وبهدوء ؟

ربما لأن مصاب علي الأكبر هد كيانه ، وأفقده القدرة على الحركة .

ومن مناسك الحج صلاة ركعتي الطواف ، حيث يجب أداؤها بعد الطواف مباشرة . فلنتأمل : هل صلى الحسين الغريب هاتين الركعتين ، أم لا ؟

لقد تهيأ للصلاة عند الزوال من يوم عاشوراء ، إلا أن تساقط النبال والسهام لم يدع ابن بنت النبي وحجة الله على خلقه يؤدي صلاته .

---

142 - المصدر السابق .

فقال الحسين ، عليه السلام ، لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله :
تقدما أمامي حتى أصلي الظهر .
فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف [143].

ومع أن اثنين من أصحابه وقفا أمامه إلا أن سهماً أصاب الحسين (ع) ، في حين أن بقية السهام تلقاها سعيد بن عبد الله الحنفي (الجعفي) رضوان الله تعالى عليه .

وروي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدم أمام الحسين ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين ، عليه السلام ، يمينا وشمالاً . قام بين يديه ، فما زال يرمى به حتى سقط إلى الأرض وهو يقول :

اللهم ، العنهم لعن عاد وثمود ، اللهم أبلغ نبيك السلام عني ، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح ، فاني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك .

ثم مات رضوان الله عليه ، فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح .[144]

يصطحب الحجاج في سفرهم ولأجل إتمام أعمال الحج هدياً ليذبح كأضحية ، أما الحسين فقد اصطحب معه جميع أنواع القرابين والأضاحي ، فاصطحب الطفل ابن ستة اشهر ، والشيخ العجوز ، والشاب اليافع . لقد اصطحب معه أولاده وإخوانه وأصحابه .

والآن لنرَ كيف كان إحرام الحسين (ع) في سفر حجه ، فإن الحجاج عندما يحرمون من الميقات ينزعون ثيابهم ، ويلبسون قطعتين من القماش غير المخيط ، ولكن إحرام سيد الشهداء كان من نوع آخر ، قال لأخته زينب :

"ايتوني ثوباً لا يرغب به أحد ، أجعله تحت ثيابي لا أجرد .[145]

وعندما آتته به ، نظر إليه ، ثم خرقه بخنجره في عدة مواضع[146] ليكون ذلك القميص الخلِق إحراماً له . وقد ورد أنه "إنما فزره لكي لا يسلبه بعد قتله [147]".

فلبسه الحسين (ع) تحت ثيابه ، وودع أهله وأولاده ، وأنتم تعلمون ما جرى بعد ذلك . لكنني أقول لكم شيئاً واحداً : لقد ودع أهله وأولاده وداع من لا أمل له بالرجوع إليهم .

---

[143]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 21 .

[144]- المصدر السابق .

[145] - الطبراني ، سليمان بن أحمد اللخمي ، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط. 2 ، ج3 ، ص 117 .

[146] - ففي بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 54 :
فأخذ ثوبا خلقا فخرقه وجعله تحت ثيابه - فلما قتل جردوه منه .

[147]- الارشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 111 . بتصرف .

وداع أبي عبد الله (ع)

تعالوا لننظر من هنا بعيون قلوبنا إلى ظهر يوم عاشوراء ، وإلى مخيم أبي عبدالله (ع) لنرى أجساد كافة أنصاره ملقاة على الرمضاء ، والحسينَ وحيداً فريداً ، وقد اتجه إلى إحدى الخيام . إنها الخيمة التي يرقد فيها الإمام السجاد على فراش المرض . جاءه الحسين ليسلمه أسرار الإمامة .

أحاطت النساء والأطفال بالإمام على شكل دائرة ، ولعل بعضهم لا يزال يأمل بأن يحضر له الحسين (ع) بعض الماء .

من الطبيعي إذا أراد الإنسان أن يسافر سفراً طويلاً أن يوصي شخصاً بعياله وأهله ليعتني بهم في غيابه ، أما إمامنا سيد الشهداء فلم يوصِ بعياله وأهل بيته أحداً، وقال لهم :

إن الله حافظكم وحاميكم .[148]

ثم خرج من الخيمة إلى الميدان في غاية الهدوء والسكينة ووجهه يتلألأ نوراً ، وكأنه رأى أهل بيته رُووا من العطش .

ما إن تقدم الحسين (ع) قليلاً ، حتى خرجت جارية من الخيمة ، وهي تجري خلفه .

لنستمع ماذا قالت تلك الفتاة للحسين (ع) :

يا أبه ، مهلاً ، توقف حتى أتزود من النظر إليك .

فترجل الحسين عن جواده ، واعتنقها ، وواساها .[149]

ثم أكمل طريقه إلى الميدان وحيداً فريداً غريباً عطشاناً بلا ناصر ولا معين ، وقد توزعت حوله أجساد الشهداء والقتلى في كل جانب ، فلو أن نظر المرء يقع على مشهد واحد منها لخارت قواه ، وسقط على الأرض غماً وحزناً ، لا سيما مشهد أجساد الأطفال ، والقاسم ، وعلي الأكبر المقطع إرباً .

على تلك الحال المأساوية الرهيبة تقدم الحسين إلى الميدان وحيداً .

بماذا تكفن أبو عبد الله (ع) ؟

لبس الحسين كفنه بيده . كان كفناً خلقاً ، ومع أنه خرقه (ع) في عدة مواضع إلا أنه صار هدفاً لأربعة آلاف رمية سهم وضربة سيف . مع هذا كان الحسين (ع) يتمنى لو يبقى هذا الكفن الممزق على جسده فلا يسلبه ، إلا أنهم لم يحققوا أمنية ابن النبي (ص) ، فقد أتى لعين وسلبه ذاك الثوب عن جسده .

---

[148]- كلمات الإمام الحسين (ع) ، مصدر سابق ، ص 491 .

[149] - لم نجد النص في مصدر . (المترجم)

لا أدري كيف تم إخراج ذلك الكفن البالي الذي مزقته السهام والرماح والسيوف عن الجسد المقطع أشلاءً !!

لقد كانت مصيبة جسد الحسين العريان عظيمة على قلب أم المصائب زينب إلى درجة أنها عندما وقع نظرها على جثمان أخيها بين مصارع القتلى نسيت كل مصائبها الأخرى ، وراحت تندب ذلك الجسد العاري المقطع :

أيها الجسد ، لقد عروك وقطعوك ، وحتى من القميص البالي سلبوك [150].

أبو عبد الله(ع) يغتسل ويكفن نفسه بنفسه

نريد أن نبكي الآن على ذلك الإنسان الذي كفن نفسه بيده ، ولكنهم سلبوه كفنه ، واغتسل غسل الميت بنفسه ، ولكن لم يكن في كربلاء ماء ، فكيف كان هذا الغسل ؟

لم يكن غسلاً بالسدر والكافور ، وإنما كان بدماء قلبه الشريف . لقد اغتسل بذلك الدم الذي انبعث منه عندما أصابه السهم المثلث ، حيث وضع يده اليمنى تحت الدم ، ولما امتلأت خضب به رأسه ووجهه ، وهو يقول :

هكذا ألقى الله وأنا مخضب بدمي .[151]

وهناك غسل آخر اغتسله سيد الشهداء ، وهو الغسل بدموع الأطفال والنساء، وبدموع أخته زينب .

فحينما جلس جميع أهل حرمه عند مصرعه يقيمون العزاء على جثمانه وفوق بدنه العريان المقطوع الرأس ، وأعينهم تفيض بالدموع ، وجدوا أن سيدهم لا يزال عارياً ، وبلا كفن ، فقاموا جميعاً بتكفينه ، ولكن بماذا كفنوه ؟ كفنوه بأجسادهم ، فألقوا أنفسهم عليه ، ليستروا بذلك جسده الشريف .

أما تشييعه فقد كان من كربلاء إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى الشام ، ولكن هذا التشييع كان على صورة خاصة ، فرأس الحسين على رأس الرمح يسار به أمام قافلة الأسرى ، بينما يسير جميع الأطفال والنساء خلفه نحو الكوفة .

أما كيف كان هذا التشييع فلست أدري .

ما أقوله لكم هو أن أهل بيت الإمام الحسين شيعوا رأسه ، وهم يجلدون بالسياط ، ويسيرون حفاة الأقدام على شوك الفيافي . لقد ساروا في تشييعه بأقدام تقرحت من شدة المسير .

---

150 - لا بد أن هذا القول هو بلسان الحال لعدم وجوده في مصدر . (المترجم)

151 - لم نجد هذا النص في مصدر . (المترجم)

حكاية السهام التي أصابت الحسين(ع)

ظهر يوم عاشوراء كان جسد الحسين (ع) هدفاً للسهام والنبال والسيوف ، جاء في بعض المقاتل :

رشقوه بالسهام حتى صار كالقنفذ .[152]

راح الحسين (ع) ينزع السهام عن جسده المبارك واحداً بعد الآخر ، لكنه لم يتمكن من نزعها جميعاً ، فقد نزع أربعة منها فقط . أحد السهام استقر في حنكه .

لا أدري بأي نوع من السهام رماه ذلك الظالم حتى أثبته في حنكه الشريف ، فنزعه (ع) ، ووضع يديه تحت حنكه ، حتى امتلأتا دماً ، فرمى به نحو الأرض ، وهو يقول :

إلهي ، أشكو إليك هؤلاء القوم .

وسهم آخر رماه به سنان بن أنس ، فوقع (ع) من أثره على الأرض ، حيث ورد أنه :

"رماه سنان أيضا بسهم فوقع السهم في نحره ، فسقط ، عليه السلام ، وجلس قاعداً ، فنزع السهم من نحره ".[153]

بنفسي غربتك ووحدتك يا أبا عبد الله .

"وقرن كفَّيه جميعاً ، وكلما امتلأتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته ، وهو

يقول :

هكذا ، حتى ألقى الله مخضباً بدمي ."[154]

وهناك سهم آخر ، لا أدري أأتحدث عنه أم لا !

إنه سهم مسموم ذو ثلاث شعب ، أصاب قلب الحسين (ع) . لقد كان هذا السهم أشد وأصعب عليه من كل السهام الأخرى ، فقد استحكم في صدره إلى درجة أنه لم يتمكن من إخراجه ، فاستخرجه من قفاه . كان هذا السهم كفيلاً بالقضاء على الإمام (ع) .

روحي لك الفداء ، أيها المظلوم ، يا حسين ، لقد ملأ هؤلاء الكفار قلبك دماً ، ولكنهم لم يدعوك حتى أخرجوا ذلك الدم من قلبك المبارك بذلك السهم المحدد ذي الثلاث شعب .

غربة ووحدة أبي عبد الله

---

[152]- الارشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 111 .

[153]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص 55 .

[154] - المصدر السابق .

إحدى مصائب أبي عبد الله الحسين (ع) مصيبة غربته عند شهادته ، فعند شهادة رسول الله (ص) كان أمير المؤمنين (ع) حاضراً فوق رأسه ، كما أن الزهراء كانت حاضرة ، وكان الحسن جنب فراشه ، والحسين عند صدره المقدس .

وعند شهادة الزهراء (ع) كان أمير المؤمنين والحسنان وسائر أهل بيتها حاضرين ، وكانت فضة حاضرة أيضاً .

وعند شهادة أمير المؤمنين كان الحسنان حاضرين وكان بنات علي وأولادهن وأزواجهن يحيطون بفراش المولى علي (ع) .

وعند شهادة الإمام الحسن كان الحسين حاضراً ، ومعه سائر أخوته ، ومنهم العباس ، وكان أولاد الإمام الحسن حاضرين ، ومنهم القاسم . زينب كانت حاضرة ،

وأم كلثوم كانت حاضرة .

ولكن القلوب تحترق للغريب الذي لم يحضره أحد عند شهادته ، كان وحيداً ليس معه أحد . لم يقتصر الأمر على امتناع جميع الناس عن إغاثته ، بل أمر أهل بيته أن لا يحضر أحد منهم عند مصرعه ، كان يصيح فيهم بأن لا يحضروا ، ونهى زينب عن الخروج من الخيمة .

ولكن ، في نهاية المطاف خرج الإمام السجاد على شدة مرضه ، يريد الوصول إليه ، فنادى الحسين (ع) :

يا أم كلثوم ، خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (ص) .[155]

ونقل أنه لما رأى ذلك المريضَ يريد نصرة أبيه الغريب والاستشهاد بين يديه قال له :

يا بني ، تكليفي القتل والشهادة ، وتكليفك الأسر والسبي وخدمة أيتام أهل البيت .[156]

احتضار أبي عبد الله (ع)

كثيرة هي المصائب التي مرت على أبي عبدالله (ع) . مصائب ثقلت وكبرت في السماء والأرض وعلى أهلهما .

إحدى هذه المصائب احتضار أبي عبد الله (ع) .

جاء في حديث ما مضمونه :

لا تدعوا أحداً يمس المحتضر ، لأن ذلك يشعره وكأنه يتلقى ضربة قاسية بالسيف .[157]

---

[155] - المصدر السابق ، ص 46 .

[156]- النص مترجم حيث لم نجده في مصدر .(المترجم)

[157] - وإليك نص الحديث :

والآن ، لنتأمل حال محتضر كربلاء ، وقد وقعت على جسده الشريف مئات
السيوف .[158]

سنجد مصيبة أعظم من هذه ، وهي علاوة على كل تلك السيوف والرماح والنبال التي سقطت عليه ، فقد وطأ الشمر اللعين الدعي بحذائه على صدر أبي عبد الله (ع) ، وراح يضربه بخنجره في رقبته إلى أن فصل رأسه عن جسده المبارك . فسقط أبو عبد الله بين مصارع القتلى وهو محتضر .

تعالوا نبكي على هذا المظلوم محتضراً الذي اجتمعت عليه المصائب ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فقد كانت تنزل به المصائب في كل حال من أحواله ، فمصيبة عند وداع أهل بيته ، وأخرى عند امتطائه جواده ، إلى أن كانت المصيبة ذات النوع الخاص ، وهي مصيبته عند احتضاره . لقد انهالت السيوف والحجارة والرماح على جسده المبارك ، لتزيد في جراحاته،[159] وفي هذه الأثناء ارتفع صوت الحسين الغريب (ع)، وهو يستغيث .

بكاء أبي عبد الله (ع)

هلموا نبكي لبكاء أبي عبد الله (ع) عسى أن يكون ذلك كفارة لذنوبنا .
فالحسين بكى ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ويقول :
أبكي إليك ، يا رب ، مكروباً .[160]

عن زرارة قال : ثقل ابن لجعفر وأبو جعفر جالس في ناحية ، فكان إذا دنا منه إنسان قال :
لا تمسه فإنه إنما يزداد ضعفا ، وأضعف ما يكون في هذه الحال ، ومن مسه على هذه الحال أعان عليه ، فلما قضى الغلام أمر به ، فغمض عيناه وشد لحياه ... الحديث.(وسائل الشيعة (آل البيت) ،ج 2، ص 468).

[158]- ففي أمالي الشيخ الصدوق ، مصدر سابق ، ص 228 :
عن الباقر ، عليه السلام ، قال :
أصيب الحسين بن علي ، عليهما السلام ، ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح أو ضمرة بسيف أو رمية بسهم ، فروي أنها كانت كلها في مقدمه لأنه ، عليه السلام ، كان لا يولي .

[159]- روى علي بن أسباط في نوادره عن أبي جعفر (عليه السلام) ، أنه قال في حديث :
" ولقد قتلوه - يعني أبا عبد الله الحسين بن علي ، عليهما السلام - قتلة نهى رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أن يقتل بها الكلاب ، لقد قتل بالسيف ، والسنان ، وبالحجارة ، وبالخشب " . مستدرك الوسائل ، الميرزا النوري ، ج 8 ، ص 307 .

[160] - من الدعاء الجامع الذي رواه أبو حمزة الثمالي عن الباقر (ع) .راجع تهذيب الأحكام ، ج3 ، ص 75 .
وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : قال الحسين بن علي عليه السلام : أنا قتيل العبرة ، قتلت مكروبا وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب إلا رده الله وقلبه إلى أهله مسرورا . وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي ج 10 ، ص 329 .

لعل أهم ما شغل بال الحسين يوم عاشوراء ، وجعَله مكروباً أمور ثلاث :

أحدها : أن الحسين (ع) كان ينقل أجساد الشهداء من ميدان القتال ، ويضعها في خيمة "دار الحرب" حتى لا تبقى تلك الأجساد بعيدة عن بعضها البعض ، وحتى لا تفصل عنها رؤوسها ، من يدري ، ربما خطر ببال الحسين (ع) أن زين العابدين ، وبسبب مرضه ، لن يكون بمقدوره جمع أجساد الشهداء ، إذ ليس معه من يعينه سوى النساء والأطفال .

ثانيها : أن لا يكون جثمانه عارياً .

ثالثاً : أن يبقى أهل بيته ونسائه في مأمن من تعرض الأعداء .

ولكنه وجد في نهاية الأمر أنهم لم يتركوا عليه لباسه ، ولم يدَعوا رؤوس الشهداء على أبدانهم ، ولم يحفظوا عياله من الاعتداء ، لذا امتلأ قلبه حزناً وألماً ، ففاضت عيناه بالدموع.

سجدات أبي عبد الله (ع)

كلنا سمعنا عن سجود رسول الله (ص) في جوف الليل ، وهو يقول : إلهي ، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً .[161]

وسمعنا أيضاً عن سجود أمير المؤمنين (ع) في جوف الليل في منطقة النخيلة بالكوفة وهو يردد : إلهي قلبي محجوب ، وعقلي مغلوب ، وهوائي غالب .[162]

وسمعنا الكثير عن سجود السيدة الزهراء الطاهرة في جوف الليل .

فلنسمع الآن شيئاً عن سجود أبي عبد الله في صحراء كربلاء ، فلقد سجد الإمام الحسين (ع) كثيراً في كربلاء ، ولكن المصيبة في تلك السجدة التي كانت أغلى وأثمن من كل تلك السجدات ، وذلك عندما حاول لآخر مرة النهوض متكأً على أصابعه ، وهو ينظر إلى الخيام . ولكن لشدة ما أصابه من الضعف والإعياء هوى ساجداً على رمضاء كربلاء سجدة لم يرفع جبينه المبارك منها منذ أن وضعه على الأرض إلى الآن .

تخيلوا ذلك العظيم ، أبا عبدالله ، واضعاً جبهته على الأرض ، وقد نفذت بجسده الشريف كل تلك السهام والرماح .

ولكن تذكروا أن الشمر لما رأى الخنجر لا يعمل في منحر الحسين (ع) ، قلَبه على قفاه ، وراح يحز رقبته بخنجره ، حتى فصل رأسه عن بدنه من القفا.

---

[161] - البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1989 ، ط.3 ، ص 150 .

[162] - من دعاء الصباح ، بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج84 ، ص 341 .

مظلوميات أبي عبد الله (ع) في كربلاء

تعالوا نستجلب رضا الله ومحبة النبي ، وندخل السرور على قلب المولى أمير المؤمنين ، ونفرح قلب الزهراء الكسير بشيء من البكاء على الحسين المظلوم الذي لم يجبه الأعداء إلى أي أمر أراده منهم ، فحرموه من كل ما طلبه .

ومع أنه حاول أن يكون ما يطلبه منهم قليلاً ويسيراً رجاء أن يسمعوا له ، إلا أنهم أبوا ، حتى أنه بالنسبة لمحل إقامته ، مع أنه حجة الله والحاكم الحقيقي للعالم بل كل ما في الوجود تحت يده ، طلب منهم أن يبقى في المدينة فرفضوا .

كان سبط رسول الله يعيش في مدينة جده فأرسلوا له من يقتله في جوف الليل، فاضطر أن يبتعد عن حرم جده متخفياً مودعاً النبي (ص) بقلب مفطور ، قال : أخرج إلى بيت الله حيث حرم الله ، فهناك حرم آمن حتى لغير المسلمين بل للحيوانات أيضاً.

تصوروا مصيبة أبي عبد الله (ع) ، وتأملوا في غربته ، فإن المسجد الحرام الذي هو محل آمن لكل ذوات الأرواح لم يكن آمناً للحسين نور عين النبي (ص) وفلذة كبد الزهراء (ع) فقد أرسل يزيد ثلاثين نفراً وأمرهم أن يقتلوه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، أو كان يطوف حول البيت ، أو كان محرماً لأداء فريضة الحج .فغادر مكة عسى أن يتمكن من الإقامة في الكوفة ، إلا أن جيش ابن زياد سدوا عليه الطريق ، وقالوا له: لا ندعك تدخل الكوفة .

فقال (ع) : دعوني أمضي إلى بعض ثغور المسلمين ، فأقيم فيها .[163]أو أذهب إلى أي مكان من أرض الله الواسعة فلم يقبلوا منه ، وضيقوا عليه أمره حتى جعلوه في مثل الحلقة ،[164] حتى أنزلوه في صحراء كربلاء ، وقد كان اللعين ابن زياد قد كتب إلى الحر :

...فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء .[165]

فعرض عليه الحسين (ع) أن ينزلوه على الأقل بالغاضرية ، فرفضوا ، فعرض عليهم النزول بنينوا فأبوا ، ثم عرض النزول بشفيه فلم يقبلوا .

في الأيام الأولى كان من المتيسر الوصول إلى شاطئ الفرات ، ولكن ساء الأمر فيما بعد حتى منع حُرم النبي من الماء ، وفي نهاية المطاف لم يبق للحسين (ع) محل في هذا العالم ليقيم فيه سوى مكان خيمته ، ثم إنهم ، مع ذلك ، حملوا عليه حتى أبكوه ، لقد سلبوا منه كل العالم .

---

[163] - مقاتل الطالبيين ، مصدر سابق ، ص 75 .

[164] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 45 ، ص8 .

[165] - تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 308 .

ربما رضي الحسين (ع) بهذا الواقع مقابل رجاء آخر ، وهو أن يكون له قبر على الأقل ليدفن بدنه فيه ، ولكن هل استجابوا لهذا الرجاء ؟ أم أن ابن سعد أمر عشرة من الخيالة أن يجروا خيولهم على جسده المبارك ، فداسو صدره حتى تحطمت عظام صدره وظهره ، حتى باتت لا يمكن التمييز بينها .

إفطار أبي عبد الله (ع) في كربلاء

أكدت الأحاديث كثيراً على فضيلة وثواب إفطار المؤمنين ، فتعالوا نروِّي بدموع عيوننا وماء مآقينا مؤمناً حقيقياً كان أشد ظمأً من سائر أهل بيته ، حتى تفتت كبده من العطش ، ويبست شفتاه ، حتى صار يصدر لهما صوت إذا التقتا كخشبتين تصطكان ببعضهما البعض .

تعالوا لنرى متى أفطر ذلك الكبد الظمآن في كربلاء ؟

كان إفطار الحسين (ع) حاضراً في يد رسول الله (ص) قبل أن يتجه إلى الميدان ، هذا ما عبر عنه علي الأكبر حينما قال :

أبتاه ، هذا جدي رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً ، وهو يقول لك : العجل ، فإن لك كأساً مذخوراً [166].

ولكن نسأل : هل أفطر الحسين (ع) من يد النبي (ص) ، أم أنه لاقى ربه عطشاناً ؟

ولماذا سيلقاه عطشاناً ؟

لاحتمال أن يكون قد قال لجده :

يا جداه ، استحيى من القلوب العطشى لأطفال الحرم وسكينة وزينب ، أن أشرب الماء قبل أن يشربوا .

موارد خجل أبي عبد الله (ع)

إحدى مصائب أبي عبد الله (ع) مصيبة خجله وحيائه من بعض ما جرى له في كربلاء . عن أي موارد خجله أحدثكم ؟

عن خجله من أولاد مسلم بن عقيل حين ورد خبر مقتله ، فوضعهم على فخذه ، وراح بكلمات لطيفة يفهمهم أنهم أضحوا يتامى؟

أم عن خجله أمام كافة أهل بيته الذين تملكهم الخوف ؟

أم عن خجله وحيائه من الأطفال الذين أصابهم العطش ، وبشكل خاص من عطش ابنته سكينة ؟

أم عن خجله من ولده علي الأكبر الذي رجع من الميدان وهو يقول :

---

166 - مقتل الخوارزمي ، ج2 ، ص 31 .

يا أبه ، إن العطش قد قتلني ، فهل إلى شربة ماء من سبيل ؟
فلم يملك الحسين سوى أن يضع لسانه على لسانه .
أم عن حيائه وخجله أمام القاسم الذي نادى من كثرة جراحاته :
يا عماه ، أدركني .
فلم يملك له سوى أن حضر إلى مصرعه ، وهو يقول له على استحياء :
يعز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك ؟
أم عن حيائه من أخيه أبي الفضل العباس عندما حضر إلى مصرعه ؟
أم عن خجله من الرباب حيث لم يتمكن من أن يحصل لرضيعها الظمآن ذي الأشهر الست على قطرة ماء ؟ بل جاء به من الميدان وقد تخضب مهده بدمائه .

أم من أهل بيته الذين شعروا بحركته خلف الخيام ، حيث استحيى أن يواجه الرباب برضيعها المذبوح في مهده من الوريد إلى الوريد ؟ ماذا كان يفعل الحسين (ع) خلف الخيام ؟

لقد جلس خلف الخيمة ، وأخذ يحفر بجفن سيفه قبراً صغيراً ليدفن فيه ولده الأصغر ، وإذا بالرباب من ورائه تقول له :

مهلاً ، يا أبا عبد الله ، دعني أكحل ناظري بنظرة وداع من وجه ولدي الحبيب.[167]

مصائب نعش أبي عبد الله

من خصوصيات الكعبة أن لا يمر من فوقها أي طائر ، ولا تحلق الطيور فوقها احتراماً لها .

ونسأل : هل كان لسيد الشهداء مثل ذلك ، أم لا ؟

بقي جسد الحسين (ع) على رمضاء كربلاء ثلاثة أو أربعة أيام ، فلم يُرَ عليه ذبابة واحدة ، وبدلاً من ذلك كانت الحمائم تحلق حوله يوم عاشوراء ، وتلون أجنحتها بدمائه .

ومن خصائص الكعبة أن الحيوانات تحفظ لها احترامها ، وتمتنع عن هتك حرمتها .

ونسأل : هل كان لسيد الشهداء هذا الاحترام ، أم لا ؟

والجواب : نعم ، فقد حفظ جواده ذو الجناح حرمة أبي عبد الله (ع) ، حيث جاء
يدور حول جثمانه ، ولطخ ناصيته بدمه ليخبر بذلك أهل الحرم بمقتله (ع) .

---

[167] - لم نجد النص في مصدر . (المترجم)

تعالوا لنرى ماذا فعلت الخيول ببدن أبي عبد الله (ع) ؟ هل مرت الخيول على جسده سيد الشهداء ؟

يقول المرحوم ابن طاووس :

فداسوا الحسين ، عليه السلام ، بحوافر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره ... (ولما سألهم) ابن زياد : من أنتم ؟

قالوا : نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره [168].

مصيبة قبر أبي عبد الله (ع)

إحدى مصائب أبي عبد الله (ع) المصيبة الخاصة بقبره .

فمن اليوم الأول الذي خلق الله فيه الأرض كان أول مكان تحدد بها هو مكان الكعبة ، (كان ذلك في الخامس والعشرين من ذي القعدة ، وهو اليوم المسمى بيوم دحو الأرض). في هذا اليوم حدد الله ، وهو العالم بالأشياء ، مقتل ومدفن الإمام الحسين (ع) في كربلاء ، وقد أشار (ع) إلى ذلك عندما خرج من المدينة باتجاه مكة بقوله :

" الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشد فيها ، وهي كربلا ".[169]

وأتته أفواج مسلمي الجن فقالوا : يا سيدنا ، نحن شيعتك وأنصارك ، فمرنا بأمرك ، وما تشاء ، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك .

فأجابهم (ع) : ... إذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلى هذا الخلق المتعوس ؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء ؟ وقد اختارها الله يوم دحا الأرض ...إلخ[170]

نقول : يا أبا عبد الله (ع) ، أنت قلت أن لك في كربلاء حفرة ، وأن لك فيها قبراً ، ليتهم تركوك تدفن في حفرتك ، فقد بقيت ثلاثة أو أربعة أيام بلا دفن ، وبعد ذلك دفن قسم منك ، أما رأسك المقدس فقد طافوا به من مدينة إلى مدينة في الأزقة والأسواق إلى درجة أن أحباءك لا يعلمون هل دفن رأسك في كربلاء ، أم في الشام ، أم في النجف ، أم في مصر .

---

[168]- اللهوف في قتلى الطفوف، مصدر سابق ، ص 79 . يريد المؤلف أن يشير إلى أن الحيوانات حفظت حرمة الحسين (ع) ولكن سفلة البشر (الخيالة) ما حفظوها .(المترجم)

[169]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 330 .

[170]- بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 330 .

نقول : يا أبا عبد الله ، هل تركوا قبرك سالماً من الأذى بعد دفنك ؟ وهل تركوك تنعم بالسكينة فيه ، أم أنهم حرثوا مكان القبر ، ثم أفاضوا عليه الماء لتضيع معالمه ؟

قالوا : أمر المتوكل إبَّان حكمه بقتل كل من يأتي لزيارة الحسين (ع) ليتم القضاء على زواره (ع) . فكم أريقت دماء لزوارك في حرمك بدون وجه حق ؟!

(من كرامات قبر الحسين (ع) أنهم حينما أرادوا حراثته لتضييع معالمه امتنعت الأبقار عن السير ، فقاموا بتسليط الماء عليه ، ولكن بقدرة الله تعالى ارتفع القبر ، فكانت المياه تمر من تحته ، فلما ارتفعت الماء دارت حول القبر ، وحارت كأنها تطوف به وتزوره .)[171]

مجلس رأس أبي عبد الله (ع)

إحدى مصائب أبي عبد الله مصيبة دفنه ، فمن حق كل ميت أن يوارى جسده في التراب ، حتى ابن سعد اللعين توقف في صحراء كربلاء في اليوم التالي لانتهاء واقعة عاشوراء المأساوية ليدفن أجساد قتلى جيشه المشؤوم .

أما أبو عبد الله (ع) فبدل أن يدفن في الأرض رفع عنها ، أي رفعوا رأسه على رأس الرمح ، والرأس هو أصل بدن الإنسان ، فما لم يتم دفن الرأس لا يتحقق الدفن ولو دفن الجسد .

ثم ليتهم اكتفوا بهذا ، فبالإضافة إلى رفع رأسه على رأس السنان علقوا الرأس الشريف على شجرة في الكوفة ، وكانوا خلال مسيرهم إلى الكوفة وداخل الكوفة نفسها يرمونه بالحجارة . وفوق ذلك كانوا يجلدون أطفاله وأيتامه بالسياط ، ويسوقون زينب مغلولة بالسلاسل أمام عينيه.

ثم عمدوا إلى إيذاء ذلك الرأس المبارك بطرق أخرى ، كإدخاله محضر الدعي ابن زياد ، وتعليقه على باب مدينة الشام ، وإدخاله مجلس يزيد .

والمصيبة الكبرى التي ألمت بالرأس الشريف في الشام ، والتي هي أكبر من نكث يزيد لشفاهه بعود الخيزران هي أنه كان يكثر من طلب الخمر إلى درجة أنه نقل أن يزيد كان يشرب الخمر ، ثم يريق ما يتبقى في الكأس إلى جانب الطشت الذهبي الذي وضع فيه الرأس بقصد الاستهانة بالرأس المبارك لمظلوم كربلاء .[172]

---

[171] - الشهيد الأول ، الذكرى ، ط. حجرية ، 1272 هـ ، ص 256 .

[172] - الراوندي ، قطب الدين ، الدعوات ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي ، 1407 هـ ، قم ،ط.1 ، ص 162 ، وإليك نص الرواية :

عن الفضل بن شاذان رضى الله عنه ، سمعت الرضا عليه السلام يقول : لما حمل رأس الحسين عليه السلام الى الشام ، أمر يزيد ، لعنه الله ، باحضاره ، فوضع في طشت تحت سريره ، وبسط رقعة

جاء في بعض الروايات عن أبي جعفر ، عليه السلام ، قال :
إذا دخل المؤمن قبره نودي :
ألا وإن أول حبائك الجنة ، ألا وإن أول حباء من تبعك المغفرة .[173]
وقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله :
أول تحفة المؤمن أن يغفر له ولمن تبع جنازته .[174]
والآن ، هلموا نتقرب إلى الله بتكفين ودفن أحد المؤمنين ، بل إمام المؤمنين وسيد شهداء العالم منذ بداية الخلق وحتى قيام الساعة ، هلموا نكفن جسد الحسين ، وندفنه في هذه الليلة .
من المشهور بين الناس أن جسد الحسين بقي ثلاثة أيام ملقىَ بالعراء على رمضاء كربلاء ، أما أنا فأقول : إن بدن سيدي المبارك بقي أربعين يوماً وليلة بلا تكفين ولا دفن ، وذلك لأن الرأس هو أساس البدن ، ولا يتحقق الدفن الكامل ما لم يدفن الرأس .
يقول البعض : إن رأس الحسين (ع) دفن في النجف إلى جوار أمير المؤمنين (ع) ، ويقول آخرون : دفن في الشام ، ويقال : إنه دفن في مصر .
نقلوا في بعض كتب التاريخ عن الشخص الذي كان موكلاً بالرمح الذي رفع عليه رأس أبي عبد الله (ع) أنه قال :
فجأة شاهدت نور وجه النبي ، وإذا بالرمح قد انحنى حتى استقر ذلك الرأس المبارك في حضن النبي (ص) ، وغاب عن رأس الرمح.[175]
والآن ، تعالوا لنساعد معاً رسول الله (ص) فنذهب لدفن الرأس . هذا الرأس لا يحتاج إلى تابوت لأن لديه أكثر من تابوت ، أحدها ذلك الطست الذهبي الذي وضع فيه ، والآخر هو رأس الرمح .وهو لا يحتاج إلى كفن ، لأنه عندما جردوه من ثيابه ألقى الله ، تعالى ، على جسده نوراً كي لا يرى عرياناً ، وكذلك غشي ذلك النور رأس الحسين ، فلم يعد بحاجة إلى الكفن .
روى رجل شامي أنه كان جالساً في غرفة له فسطع أمام عينيه عامود من نور ممتد بين السماء والأرض ، فنظر وإذا ذلك النور يخرج من رأس مرفوع على الرمح .[176]

الشطرنج وجلس يزيد عليه اللعنة يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين صلوات الله عليه وأباه وجده صلى الله عليه وآله ويستهزئ يذكرهم ، فمتى قمر صاحبه تناول الفقاع فشربه ثلاث مرات ، ثم صب فضلته على ما يلي الطشت . فمن كان من شيعتنا فليدع من شرب الفقاع ، واللعب بالشطرنج .

[173] - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، 1414هـ ، قم ، ط.2 ، ج 3 ، ص 142 .

[174] - المصدر السابق .

[175] - لم نجد هذه الرواية في مصدر . (المترجم)

[176] - لم نجد هذه الرواية في مصدر . (المترجم)

وعن أحد الرهبان النصارى أنه وقع بصره في وسط خيل الأسرى على رأس نوراني ، فأخذه إلى صومعته ، وأمضى الليل يناجي الرأس ، ثم غسله بالمسك والعنبر
والكافور ، وأسلم على يده .وقال له ذلك الرأس :
أيها الراهب النصراني ، أنا الحسين ابن بنت رسول الله (ص) ، نبي آخر الزمان .[177]
وربما كان يقول له : أنا الذي قتلتني أمة نبيي عطشاناً ، وحزت رأسي من القفا، والآن يسوقونني مع أهل بيتي أسرى إلى الكوفة .
والآن ، بأي ماء نغسل ذلك الرأس ؟
هلموا نغسله بدموع عيوننا ودماء قلوبنا .
ثم أين ندفنه بعد الغسل ؟
هلموا ندفن ذلك الرأس الشريف دفناً معنوياً وباطنياً ، فندفنه في قلوبنا وأفئدتنا من أجل أن تبقى هذه القلوب حزينة ومتألمة دائماً على مصائب أبي عبد الله (ع) .

استغاثات أبي عبد الله (ع)

أحدى أبرز وجوه المظلومية لدى أبي عبد الله (ع) أن أعداءه أظهروا له كامل حقدهم وعداوتهم في مواجهته بحيث لا يمكن تصور ما هو أسوأ من ذلك ، مع أنه
كان يدعوهم إلى طاعة الله .
لا يوجد في نص زيارة أي من الأئمة أو الأنبياء كلمة "لبيك"إلا في زيارة الحسين (ع) ، فعلينا أولاً أن نلبي ، أي نقول في الزيارة : "لبيك" .[178]
فما هو سر هذه التلبية يا ترى ؟
أقول : إن أحداً من الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار لم يستغث كما فعل (ع) ، ولم يقل "هل من معين ."ولم يرفع صوته شاكياً قلة الناصر والمعين .لكن الحسين (ع) نادى "ألا من معين يعيننا ، ألا من معين يعين أهل بيتي ، ألا من ناصر ينصرنا ، ألا من ناصر يذب عن حرم رسول الله (ص) .[179]

---

[177] - لم نجد هذه الرواية في مصدر ، نعم هي مختصر لمضمون بعض المروايات في مدينة المعاجز ومنتخب الطريحي ، ولم يكن المؤلف بحاجة إلى هذه الروايات لإثبات نور رأس الإمام الحسين (ع) ففي الوارد في المصادر المعتبرة كفاية وغنى .(المترجم)

[178] - ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات ، تحقيق جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة ، 1417 هـ ، قم ، ط.1 ، ص 388 . حيث ورد في نص الزيارة :
... وأجبه سبعا تقول : لبيك داعي الله ، إن كان لم يجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأيي وهواي ... (المترجم)

[179] - اللهوف في قتلى الطفوف ، مصدر سابق ، ص 61 . وإليك النص :

فتعالوا لنجيب الحسين (ع) بصوت واحد على هذه الاستغاثات ، ونلبي نداء سيد الشهداء : "هل من ناصر ينصرني ."[180]

مصيبة قطع رؤوس الشهداء

في عصر اليوم العاشر من المحرم أو في صبيحة اليوم الحادي عشر منه تقدم ما يقرب من مائة شخص من جيش الكوفة نحو ميدان القتال ، وقد استلوا خناجرهم ، متجهين نحو أجساد الشهداء الطاهرة ، تلك الأجساد التي كان يضعها الإمام الحسين (ع) في خيمة أو خيمتين أطلق عليهما اسم "خيمة الحرب" ، حيث كان يضع القتلى بعضهم على البعض ، حتى تكومت أجسادهم كالبيدر .

عمل الحسين (ع) على جمعهم في مكان واحد خارج الميدان كي لا تطأهم حوافر الخيول . وجمع تلك الجثامين المضرجة بالدماء والمليئة بالجراح واحداً واحداً في تلك الخيمة رغم معاناته العطش الشديد حذراً من وقوعها في أيدي الأعداء وفصل الرؤوس منها عن الأبدان ، ولكن تعب أبي عبد الله (ع) هذا ذهب هدراً بمجيء هذه المجموعة .

والآن دعوني أروي لكم أفجع المصائب :

لقد دخل أولئك الملعونون إلى خيمة الشهداء ، وخناجرهم في أيديهم ، فقاموا بقطع كافة الرؤوس ، ثم حملوها فغسلوها على شاطئ الفرات ، ثم رفعوها على رؤوس رماحهم .

مصائب السيدة زينب

هذه الأيام هي أيام مصيبة الشريك الأكبر لأبي عبد الله (ع) في كافة مصائبه ، أي أيام السيدة زينب التي كانت شريكة للحسين في تحمل كل ما جرى في كربلاء من أوله إلى آخره ، فما من مصيبة شهدها الحسين (ع) إلا وشهدت زينب مثلها ، فالحسين سافر وهاجر وزينب سافرت مثله وهاجرت ، هو سافر من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى كربلاء ، وهي هاجرت من كربلاء إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى الشام ، ومن الشام إلى المدينة .

ثم صاح ، عليه السلام : أما من مغيث يغيثنا لوجه الله ؟ أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله.(المترجم)

[180] - لا بد أن هذا هو لسان حال الإمام الحسين (ع) ، فعلى رغم اشتهار هذه الكلمة لم نجد نسبتها إليه (ع) في أي نص ، ولم نجد ما يقرب منها في المصادر المعتبرة ، ولكن في منتخب الطريحي ، ص 379 :

روى عبد الحميد قال : بينما الحسين ، عليه السلام ، واقف في ميدان الحرب يوم الطف ، وهو يستعطف القوم شربة ماء ، وهو ينادي :" هل من راحم يرحم آل الرسول المختار ؟ هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار ؟ هل من مجير لأبناء البتول ؟ هل من ذاب يذب عن حرم الرسول ؟" (المترجم)

كان للحسين (ع) خلال سفره منازل ينزل بها للاستراحة ليلاً ، وكان لزينب ليلة الحادي عشر من المحرم منزل لعشاء غريب من نوعه ، فمن جهة كانت أجساد أخوتها وأبنائها منتشرة هنا وهناك دون أن يسمح لأحد بالبكاء عليهم ، ومن الجهة الأخرى يملأ سمعها أنين الأطفال اليتامى و نوح النساء الثاكلات .

عن يمينها خيمة نصف محترقة يرقد فيها سيد الساجدين ببدنه الضعيف ، وقد أقعده المرض ، وعن شمالها خيمة أخرى ، كانت النار قد أتت على بعضها ، راحت سكينة تتفحص فيها ما يذكرها بأبيها ، بينما الرباب منشغلة بالأنين والنوح والتفكير برضيعها الأصغر .

لهفي على الرباب ، لم يتركوا لها حتى المهد الخالي لتتذكر به رضيعها ، لقد سرق الكوفيون مهد علي الأصغر في آخر غارة ، فلم يُبقوا لها على ولدها ، ولم يتركوا مهده ليكون لها من أثره ذكرى ، فكانت دائمة النوح ، وهي تردد :

ولدي علي الأصغر ، ولدي علي الأصغر .

حينما سمعت زينب صوتها يعلو ويرتفع ، جاءت إليها ، وقالت لها :

ألم أقل لكن : لا ينبغي أن نبكي بصوت عالٍ كي لا يُسرَّ بذلك الأعداء [181].

ركب الحسين (ع) جواده بكل عزة وجلال ، وحمل على الأعداء وبيده ذو الفقار، ولكن ماذا فعلت زينب في مجلس ابن زياد وبأي جلال واحترام دخلت ابنة فاطمة إليه ؟ لقد دخلت ذلك المجلس بثياب بالية .

روي أنه عندما أدخلوا على ابن زياد "دخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكرة ، وعليها أرذل ثيابها ، فمضت حتى جلست ناحية من القصر ، وحفت بها إماؤها، فقال ابن زياد : من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها ؟

فلم تجبه زينب ، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها ، فقال له بعض إمائها :

هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ."[182]

ثم كان لزينب دور جهادي آخر ، وهو المحافظة على حياة حجة الله الإمام السجاد (ع) ، فقد قامت بهذا الدور في عدة مواضع ، أحدها عندما مر (ع) من أمام مصارع الشهداء ، ووقع نظره على جسد أبيه ، فاعترته حالة عجيبة أشبه بحالة الاحتضار ، حيث اصفرَّ لونه ، وتصبب جبينه عرقاً ، وغارت عيناه ، وشخص بصره . فأدركت زينب أن ابن أخيها يكاد يفارق الحياة من شدة تأثره برؤية جسد أبيه الحسين (ع) مقطعاً ، وبلا رأس ، فسارعت للوقوف أمامه لتحول دون رؤيته لجسد أبي عبد الله (ع) ، وقالت له:

---

[181] - لا ريب أن السيدة زينب كانت تفعل ذلك ، ولكننا لم نجد مصدراً لما ورد في المتن . (المترجم) .

[182] - الإرشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 115 .

مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟ سيأتي أناس يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك ليكون مزاراً
لكل محبينا ومواليناً .[183]

وما زالت تواسيه بمثل هذا الكلام ، وتخفف عنه حتى عاد لون وجهه ، وتحسنت حاله .

تأملوا حال هذه المرأة المفجوعة بأي مستوىً من الصبر والإيمان والروحية العالية كانت تتحلى حتى تمكنت من الوقوف أمام إمام زمانها لتخفف عنه وتواسيه ، وتحافظ على حياته . فقالت له :

لا يجزعنك ما ترى . فوالله ... لقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة ...يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ... وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، عليه السلام ، لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام .[184]

وفي مجلس ابن زياد حافظت زينب مرة أخرى على حياة الإمام السجاد (ع) وذلك عندما تحدث ابن زياد مع الإمام فقال له :

من أنت ؟

فقال : " أنا علي بن الحسين " .

فقال : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟

فقال له علي ، عليه السلام : " قد كان لي أخ يسمى عليا قتله الناس " .

فقال له ابن زياد : بل الله قتله .

فقال علي بن الحسين ، عليه السلام :

" {الله يتوفى الأنفس حين موتها }".[185]

فغضب ابن زياد وقال : وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد علي ؟ ! اذهبوا به فاضربوا عنقه .[186]

---

[183] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 82 ، ص 57 .

[184] - المصدر السابق . وإليك نص عبارتها (ع) :

قالت : لا يجزعنك ما ترى . فوالله ، إن ذلك لعهد من رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى جدك وأبيك وعمك . ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرحة وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء ، عليه السلام ، لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه ، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً .

[185] - سورة الزمر ، آية 42 .

[186] - الإرشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 116 .

ماذا على امرأة أسيرة أن تفعل لتنقذ الإمام (ع) من يد الجلاد الذي جاء وشهر سيفه لقتله ؟

اعتنقته ، وقالت : والله ، لا أفارقه ، فإن قتلته فاقتلني معه ؟

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال :

عجبا للرحم ! والله إني لأظنها ودت أني قتلتها معه ، دعوه فإني أراه لما به .[187]

لقد تغيرت حاله رغم غلظته وقسوته لِما رآه من صدقها وإخلاصها .

زينب أول من زار أبا عبد الله (ع)

من المعروف في تاريخ كربلاء أن جابر بن عبد الله الأنصاري الذي كان ضريراً هو أول من زار أبا عبد الله (ع) ، وقد تشرف بزيارة قبره في أربعين سيد الشهداء (ع) مع رفيقه الصحابي عطية الكوفي ، الذي أخذ بيده ، وتقدم معه بكل أدب واحترام لزيارة قبر الحسين (ع) .

ولكن برأيي أول زوار الحسين واقعاً هي العلوية المخدرة زينب ، ففي يوم عاشوراء زارته زيارة لم يقم بمثلها أحد ، فقد تقدمت إلى مصارع القتلى قبل أن يدفن الحسين (ع) وقبلته ، ولكن أين قبلته ؟ لقد انحنت وقبلت جسد أخيها المسلوب المقطوع الرأس والمقطع الأعضاء .

لا أعلم هل وجدت زينب مكاناً سالماً في جسده لتقبله رغم كل تلك الجراح حيث لم تترك السيوف والرماح من بدنه موضعاً لقُبلة إلا أصابته ؟

لا أدري ، ولكن ما نقل هو أنها انحنت ووضعت فمها على عروق رقبته المقطعة ، ثم سلمت بقلب مفجوع على جدها وأبيها وأمها وأخيها ، وقالت :

وامحمداه ، صلى عليك مليك السماء ، هذا حسين مرمل بالدماء ، صريع بكربلاء ، مقطَّع الأعضاء .[188]

أجل ، لقد قامت زينب بكل آداب الزيارة ، سوى أنها بدأت بها من عند القدمين ، مع أن المستحب أن تبدأ من عند الرأس . أرادت أن تبدأ من عند رأس أخيها (ع) ، ولكنها وجدته بلا رأس ، فماذا فعلت ؟

لقد زارت نحر الحسين بدلاً من رأسه .

إذن متى زارت الرأس الشريف ؟

بعد ثلاثة أيام من أسر السيدة زينب ، وبينما كان يطاف بها في أزقة الكوفة ،

---

[187] - المصدر السابق ، ص 117 .

[188] - مناقب آل ابي طالب ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 260 .

ألقت بنت أمير المؤمنين (ع) خطبة في جمع من أهل الكوفة ، أهل الغدر والمكر . ومن أجل إسكاتها عمدوا إلى الرأس المنصوب على رأس القناة ، فوضعوه أمام عيني أم المصائب .

لا أدري ، هل زارت الرأس في تلك اللحظة ؟ وهل زارته زيارة عن بعد أم عن قرب ؟

كل ما أعلمه أنها عندما رأت رأس أخيها ضربت رأسها بخشب المحمل [189].

يقول الراوي : عندما سار محمل زينب رأيت دماً طرياً يجري على الأرض من تحت خشب محملها .[190]

لقد كان لها ثلاثة أيام لم ترَ فيها رأس أخيها ، وذلك لأنهم سارعوا بإيصال رأس الحسين (ع) إلى الكوفة ، وفصلوه عن قافلة الأسرى .

مصائب سيد الساجدين (ع)

كان للإمام السجاد (ع) حالة خاصة في خيمته ، كما كان له حالة خاصة عندما وقف على مصارع القوم . فلنرَ كيف كانت حالته في الخيمة :

لقد كان (ع) ملقى على فراشه من شدة مرضه ، فجاء بعض أفراد جيش الكوفة للسلب ، حتى سحبوا الفراش من تحته . يقول حميد بن مسلم :

ثم انتهينا إلى علي بن الحسين ، عليه السلام ، وهو منبسط على فراش ، وهو شديد المرض ، ومع شمر جماعة من الرجالة ، فقالوا له :

ألا نقتل هذا العليل ؟

فقلت : سبحان الله ! أيقتل الصبيان ؟ إنما هو صبي وإنه لما به .

فلم أزل حتى رددتهم عنه . وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه ، وبكين ، فقال لأصحابه :

لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة ، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض .[191]

---

189 - لم نجد هذه الرواية في مصدر ، ولم يذكر أي من المصادر حكاية ضرب رأسها بالمحمل . نعم ، هناك رواية واحدة تناقلتها الكتب المتأخرة مرسلة عن مسلم الجصاص ، وهو شخص مجهول ، ولم ينقل تلك الرواية أحد قبل منتخب الطريحي سوى كتاب نور العين في مشهد الحسين المطبوع في تونس في القرن العاشر والمنسوب للإسفراييني ، وهو غير أبي إسحاق الإسفراييني المتوفى في أوائل القرن الخامس ، حيث لم يذكر أحد اسم هذا الكتاب ضمن مؤلفاته ، فهو إذن مجهول لا يعرف له أصل ، وفي كتابه هذا منكرات كثيرة جداً تسقطه عن الاعتبار ، فالرواية مرسلة أرسلها مجهول عن مجهول ، فتأمل .(المترجم)

190 - في رواية الجصاص المشار إليها : "رأينا الدم يخرج من تحت قناعها ".
لم يكن من اللائق بالمصنف إيراد هذا الخبر لعدم صحته ، فضلاً عن التصرف فيه على النحو المذكور . (المترجم)

191 - الإرشاد ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 112 .

أما حالته الخاصة عند المصارع فيخبرنا عنها هو (ع) فيقول :

لما أصابنا بالطف ما أصابنا ، وقتل أبي ، عليه السلام ، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وساير أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر إليهم صرعى ، ولم يواروا ، فيعظم ذلك في صدري ، ويشتد لما أرى منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت على الكبرى ، فقالت:

مالي أراك تجود بنفسك ، يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟

فقلت : وكيف لا أجزع ولا أهلع ، وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصرعين بدمائهم مرملين .[192]

مصيبة أهل البيت في الشام

في أحد الأيام التي كان فيها أهل البيت في الشام أمر يزيد أن يعلق رأس الحسين (ع) على باب داره . وعندما علمت زوجته هند بالأمر دخلت حاسرة إلى مجلسه وقالت :

أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ؟

قال : نعم ، فاعولي عليه وحدي على ابن بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وصريحة قريش ، عجل عليه ابن زياد ، فقتله ، قتله الله .

ثم أذن للناس ، فدخلوا ، والرأس بين يديه .[193]

أراد اللعين أن يلقي باللوم في مقتل الحسين (ع) على ابن زياد .

لاحظوا كم كانت مظلومية أبي عبد الله عظيمة حتى تأتي زوجة يزيد تعاتبه في الأمر ، وتقول له : لماذا تعلق رأس ابن النبي على باب دارك ؟

علامات الإيمان

هناك مجموعة أمور إذا وجدت في الشخص تكون علامات على إيمانه ، أولها محبته لسيد الشهداء ، وذلك لأن النبي (ص) قال :

"إن للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكتومة ".[194]

والعلامة الثانية هي التأثر عند ذكر اسمه (ع) ، ففي كل موضع يذكر فيه المؤمن اسم الحسين (ع) المبارك ينفطر قلبه . هكذا كان دأب الأنبياء والأولياء والأوصياء ، ومنهم آدم (ع) . وقد قال الإمام الحسين (ع) :

أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن إلا استعبر .[195]

---

[192] بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 82 ، ص 57 .

[193] - تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 356 .

[194] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 34 ، ص 272 .

[195] - كامل الزيارة ، مصدر سابق ، ص 215 .

والعلامة الثالثة الحزن عند سماع اسم الحسين (ع) ، فما من مؤمن يسمع باسم الحسين إلا ويشعر بالحزن .

والعلامة الرابعة دخوله مقام الحسين (ع) حزيناً ، فإن الأنبياء والأولياء والصلحاء من أولهم إلى آخرهم كانوا إذا دخل أحدهم كربلاء بدا حزيناً كئيباً . وهذا ما حصل في أول يوم دخل فيه أهل بيت أبي عبد الله إلى كربلاء حيث جاءت أم كلثوم، وقالت للحسين (ع) : لا أدري ، يا أخي ، لماذا خفق قلبي وارتعش في هذه الصحراء ، ولا أدري لماذا خفت ، وحزن قلبي فيها .[196]

والعلامة الخامسة أن النظر إلى قبر الحسين (ع) تشعر المؤمن بالحزن .

والعلامة السادسة تذكر عطش الحسين عند شرب الماء ، وهذا التوفيق لا يتيسر لأي كان ، يقول الإمام الصادق (ع) :

إني ما شربت ماء باردا إلا وذكرت الحسين .[197]

يقول داوود الرقي :

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ استسقى الماء ، فلما شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه .[198]

عطش الحسين حتى ظهر فيه أثر ذلك . نعم ، كان عطش الحسين (ع) شديداً إلى درجة أن جبرائيل قال لآدم أن ولده السين يعطش عطشاً يرى معه السماء دخاناً ولا يعود بمقدوره تمييز لونها . لكنه (ع) لم يكن يريد أن يعرف الأعداء بذلك . ولكن حصل أمر جعلهم يدركون كم هو عطشان ، وذلك أنه عندما ضعف عن القتال وقف ونظر بطرف عينيه إلى الفرات ، نظر إلى شاطئ العلقمي ، عندها فهم الأعداء أنه يريد الماء .

كان عطشاناً ، وكبده يتفتت من الظمأ ، ولسانه لا يتحرك في فمه ، فصاح أحد الظالمين : يا حسين ، ألا ترى إلى الفرات كأنه بطون الحيات ، والله ، لا تذوقه أو تموت عطشاً .[199]

العمل الخالص البكاء على أبي عبد الله (ع)

نحن الذين ليس لدينا عمل خالص لوجه الله سوى البكاء على الحسين (ع) نقول :

إلهي ، أنت تعلم أنه ليس في إقامتنا لمجالس العزاء على أبي عبد الله إلا ما هو خالص وصافٍ ، فكيف ينفطر قلب ، وتجري دمعة على حسين الزهراء ولا يقبل الله هذا العمل ؟

"وهذا رحمة من الله على الباكين على الحسين" .[200]

---

196 - لم نجد هذا النص في مصدر . (المترجم)

197 - الأمالي- الشيخ الصدوق ، مصدر سابق ،ص 205 .

198 - المصدر السابق .

199 - مقاتل الطالبيين ، مصدر سابق ، ص78 .

هناك الكثير من الأمور حصلت مع الإمام الحسين (ع) في كربلاء تُجري دموع الإنسان ، أحدها بكاء أبي عبد الله (ع) . فقد بكى عدة مرات ، بكى لغربة أهل بيته ووحدتهم ، وبكى لشهادة أعوانه وأنصاره ، وبكى لشهادة العباس وعلي الأكبر والقاسم.

ولكن الحسين (ع) بكى على نفسه مرتين ، مع أنه لم يبكِ لما أصابه من ضرب السيوف وطعن الرماح وجراح السهام ، إذن متى بكى ؟

بكى في آخر لحظات عمره وقبل شهادته ، عندما سقط على الأرض بعدما أعياه القتال وكثرة الجراح ، فلم يتمكن من النهوض ، إلا أن غيرته لم تسمح له ، ولكن ماذا يفعل وليس له طاقة على النهوض ؟ كلما أراد القيام سقط على الأرض ، فبكى بكاء عالياً ونادى :

واجداه ، وامحمداه ، واأبوالقاسماه .[201]

وبكى ثانية عند شهادته ، حيث انهالت عليه الرماح والسيوف من كل جانب، فضربه زرعة بن شريك اللعين بالسيف على كف يده اليسرى ، فقطعها ، عندها أخذ الحسين (ع) بالبكاء ، ولكن لبكائه هذا سر وحكمة .(للأسف لم يبين المرحوم الشيخ جعفر هذا السر.)

البكاء على الحسين (ع) ينجي من جهنم

جاء في بعض الأخبار أن أعضاء الإنسان تشهد عليه بالزلة ، فتتطاير شعرة من جفن عينيه ، فتستأذن بالشهادة . فيقول الحق :

تكلمي ، يا شعرة عينيه ، واحتجي لعبدي .

فتشهد له بالبكاء من خوف الله تعالى ، فيغفر له . فينادي منادٍ :

هذا عتيق الله بشعرة .[202]

وهناك بكاء آخر ينجي من نار جهنم ، وهو البكاء على الإمام المظلوم سيد الشهداء (ع).

جاء في الحديث :

أيما مؤمن بكى على الإمام لمظلوم فتحرك دمعه ولم يخرج من حدقة عينه حرم

الله عينه على نار جهنم .[203]

---

[200] - بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج 44 ، ص 304 . حيث ورد فيه :
ألا وصلى الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة .

[201] - هكذا أورد المصنف هذا النص ، ولم نجده في مصدر .(المترجم)

[202] - الطريحي ، الشيخ فخر الدين ، مجمع البحرين ، تحقيق أحمد الحسيني ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، 1408 هـ ، قم ، ط.2 ، ج 1 ، ص 351 .

[203] - ولا يخفى أننا ترجمنا النص لعدم عثورنا على مصدره ، وأقرب رواية لهذا المضمون ما جاء في بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج 44 ، ص 308 . في حديث طويل :

والآن لنرَ على أية حالة من حالات أبي عبد الله سنبكي ؟

نبكي على اضطرار الإمام الحسين (ع) أن يطلب من جيش ابن سعد بعض الأمور ؟ فعلى الرغم من أن الإمام كان لديه إباء وغيرة إلهية ، فلم يطلب منهم أن لا يقتلوا أخاه أو ابنه أو أصحابه أو ابن أخيه ، ولم يرجوهم أن لا يرموه بالسهام وهو يصلي ، لكنه اضطر أن يطلب منهم أمرين :

إحداهما : أن يسقوا الأطفال شيئاً من الماء .

والثانية : طلبه من الشمر أن لا يتعرضوا لحرمه ما دام حياً .

تصوروا كم هو قاسٍ ومؤلم على الإمام الحسين (ع) أن يطلب من اللعين ابن سعد أن لا يحمل جيشه على الخيام طالما هو على قيد الحياة .

ولكن ما الذي فعلوه ؟ هل أجابوه إلى ما طلبه منهم ؟

أم أن جواب طلبه الأول كان سهم حرملة ذي الثلاث شعب الذي وقع في نحر علي الأصغر ؟

وجواب طلبه الثاني جاءه من جيش الكوفة حيث أغار على المخيم حينما أعيا الحسين (ع) الضعف ، وسقط على الأرض ، ثم حاول النهوض مستنداً على أصابعه وهو ينظر إلى حرمه ويبكي .

أما جواب الشمر فقد كان بوضع حذائه على صدر مظلوم كربلاء (ع) ووضع خنجره على منحره الشريف .

الخصوصيات التي تفرد بها أبو عبد الله (ع)

هناك بعض الخصوصيات لدى أبي عبد الله تميز بها دون سواه . هناك صفات كثيرة مشتركة بين جميع الأئمة ، ولكن سيد الشهداء (ع) له بعض الخصوصيات التي لا يشاركه أحد منهم فيها ، والتي هي إحدى عوامل وأسباب المحبة الحسينية التي يشترك فيها بقية الأئمة ، بحيث نلاحظ أن لكل إمام زيارة ، ولكن لا مثيل في الأهمية لزيارة أبي عبد الله ، ولا يشاركه فيها غيره منهم ، عليهم السلام .

إحدى هذه الخصوصيات : استشهاده (ع) ظمآناً ، ولم يكن أي إمام عند ارتحاله

عطشاناً ، ولم يقتل أي نبي كذلك .

وثانيها : استغاثة الإمام الحسين واستنصاره . لماذا ؟ لأنه لم يستشهد أي من الأئمة في ساحة القتال .

وثالثها : تجهيزه وتكفينه ودفنه بذلك النحو الغريب .

... واعلم أنه من بكى عليه أو أبكى أو تباكى حرمت جسده على النار .

لئن حصل لبعض الأئمة تجهيز ودفن ملائمان كالإمام الرضا (ع) ، حيث أمر المأمون أن يخرج أهل المدينة جميعاً إلى تشييعه تظاهراً منه بالحزن عليه ، وكالإمام السابع الذي حصل على تجهيز مناسب أيضاً ولذات السبب ، فإن القلب ينفطر على الإمام الوحيد الذي لم يكفن ويدفن باحترام ، حيث بقي ثلاثة أيام بلياليها على رمضاء كربلاء مضرجاً بالدماء ، تعلوه النصال ، وهو مسلوب الرداء .

تعالوا لنر ى ما الفرق بين زيارته وزيارة غيره من الأئمة .

ففي زيارة سائر الأئمة تذكر صفاتهم وألقابهم وأسماؤهم المعظمة ، ويسلم عليهم بها ، أما في زيارة الإمام سيد الشهداء والسلام عليه نجد الأمر مختلفاً حيث يفرد لدمه سلامٌ خاصٌ ، ولرأسه المقطوع سلامٌ خاصٌ ، ثم يسلم على صدره المهشم ، ثم على لحيته المخضبة بالدماء ، ثم على جسده المسلوب ، ثم على رأسه المرفوع على السنان .

ثم إن السلام على دمه له أشكال مختلفة من قبيل :

السلام على الدماء التي سفكت على أرض كربلاء .

السلام على الدماء التي لطخت أجنحة الحمام .

السلام على الدماء التي جعلتها الملائكة في قارورة .

السلام على الدماء التي مسحت بها أخته وجهها .

والسلام على الدماء التي خضب بها لحيته الشريفة .

ومن جملة الفروق الأخرى أنك تقول في زيارة أبي عبد الله (ع) : "لبيك" ، سبع مرات .[204]

أما لماذا سبع مرات ؟ ربما كانت إجابة لكل واحد من نداءات : "هل من ناصر ينصرني ، هل من معين يعينني" ، التي أطلقها في كربلاء .

تعالوا الآن لنجيب كل هذه الاستغاثات ، فنبايع الإمام بقلوب صافية ، ونقول له : لبيك ، من أعماق قلوبنا وأرواحنا.

ألقاب وأسماء أبي عبد الله

جاء في بعض الروايات كلمة مظلوم كأحد أسماء الحسين (ع) ، فعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله ، عليه السلام ، أو أبا جعفر ، عليه السلام ، يقول :

من أحب أن يكون مسكنه الجنة ، ومأواه الجنة ، فلا يدع زيارة المظلوم .

قلت : من هو ؟

---

[204] - كامل الزيارات ، مصدر سابق ، ص 388 . وفيه :... وأجبه سبعا تقول : لبيك داعي الله .

قال : الحسين بن علي صاحب كربلاء ...[205]

وفي رواية أخرى ورد التعبير بصاحب المصيبة بدلاً من اسم الحسين المقدس.[206]

أي أنه بعد المصاب الذي ألم به بات يعرف بصاحب المصيبة ، فلا يوجد في
مصيبته أمر صغير وأمر كبير ، بل كل ما مر عليه هو مصيبة .

ولا ندري عن أي مصاب نتحدث ، وعلى أي مصاب نبكي صاحب المصيبة ، ونذرف عليه الدموع .

روي عن سكينة أنها قالت :

إن أعظم مصيبة مرت علينا خروجنا من المدينة وتركنا لحرم جدنا .[207]

ونقول لها : أيتها المظلومة ، هل كانت هذه المصيبة أشد وأعظم من مصابكم يوم حاصركم جيش الحر ، فما أن وقعت عيون أطفال وعيال الحسين على هذا الجيش حتى اعتراهم الخوف والرعب ، لأنهم إلى تلك اللحظة لم يكونوا قد واجهوا عدواً . فلما رأى الحسين (ع) قلقهم واضطرابهم أمر باللجوء إلى مرتفع يعرف بتل ذي حسم[208]، لكي يشعروا بالأمن ، ووقف مع أصحابه في سفح التل بسكينة ووقار.

ونقول لعلياء المخدرة سكينة : هل كان خروجكم من المدينة أعظم وأصعب عليك ، ومعك أبوكِ وعلي الأكبر وأبو الفضل العباس والقاسم وعون وجعفر ، وكان معك علي الأصغر ، أم يوم خروجكم من كربلاء على الإبل العارية ومروركم بمصارع القتلى ، أم أن المصيبة الكبرى حينما سيق أهل بيت النبي (ص) كالأسرى يطاف بهم من مكان إلى مكان ، حتى أنزلوا في قصر اللعين ابن زياد ، وأدخلوا مجلسه بدون أية
مراعاة لحرمتهم ؟

---

[205] - المصدر السابق ، ص 260 .

[206] - الشهيد الأول ، المزار ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي ، 1410 هـ ، قم ، ط.1 ، ص 45 . وفيه : السلام عليك يا صريع الدمعة الساكبة ، السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة ، السلام عليك وعلى جدك وأبيك ، السلام عليك وعلى أمك وأخيك .

[207] - لم نجد هذا النص في مصدر .

[208] - جاء في تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 302 :

... فقال الحسين أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقلنا له : بلى ، هذا ذو حسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك ، فإن سبقت القوم إليه ، فهو كما تريد .

قال : فأخذ إليه ذات اليسار . قال : وملنا معه ، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل ، فتبيناها ، وعدلنا . فلما رأونا ، وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا ، كأن أسنتهم اليعاسيب ، وكأن راياتهم أجنحة الطير . قال : فاستبقنا إلى ذي حسم ، فسبقناهم إليه ، فنزل الحسين ، فأمر بأبنيته ، فضربت .

الفهرست

مقدمة المترجم
دور ثورة الحسين (ع) في الصحوة الإسلامية
أهمية دور علماء الدين والخطباء الحسينيين
خطورة دور الخطباء الحسينيين
مواطن الخطر في الخطابة الحسينية
محاولات إصلاحية
خصائص هذا الكتاب
نقطة انعطاف
وفي الختام كلمة
مصائب الإمام الحسين (ع)
تحريفات واقعة عاشوراء التاريخية
التحريفات اللفظية التحريفات المعنوية
مختارات من مصائب الإمام الحسين (ع)
ولادة الحسين (ع) وتسميته
وقائع ولادة الإمام الحسين (ع) وقصة الملك دردائيل
طفولة أبي عبد الله وتقبيل النبي (ص) له
علاقة النبي بالإمام الحسين (ع)
مصيبة جبين أبي عبدالله (ع)
أعظم مصائب الحسين (ع) على قلب رسول الله (ص)
إظهار سول الله (ص) المحبة لصحاب الحسين (ع)
نحر أبي عبد الله (ع)
منزلة الإمام الحسين عند النبي (ص) والإمام الصادق (ع)
تربة كربلاء في يد علي (ع)
بكاء أمير المؤمنين لمصيبة الحسين في كربلاء
روضة سيد الشهداء في الدنيا هي دار ضيافته (ع)
بكاء أمير المؤمنين لمصائب أبي عبد الله (ع)
بكاء المولى علي (ع) على الحسين (ع) قبل شهادته
الزهراء (ع) صاحبة عزاء سيد الشهداء (ع)
مطالبة الزهراء بدم الحسين يوم المحشر
بكاء الزهراء على أبي عبد الله (ع)
بكاء النبي آدم (ع) على سيد الشهداء
رب العالمين يخبر بشهادة أبي عبد الله (ع)

الفرق بين مباهلة الرسول (ص) ومباهلة الإمام الحسين (ع)
رمضان ومحرم
الثامن والعشرون من شهر صفر ويوم عاشوراء
مصيبة علي الأصغر
تشابه بين وداع علي (ع) ووداع زينب للحسين (ع)
مصيبة بقاء أبي عبد الله بدون غسل ولا كفن ولا دفن
النبي الأكرم (ص) يأمر الإمام الحسين (ع) في المنام
وقائع الخروج من المدينة
كلام أم سلمة عند خروجه من المدينة
تشرف الملائكة بخدمة الإمام الحسين (ع)
غربة أبي عبد الله (ع)
النزول في كربلاء
نزوله (ع) في كربلاء
نزول الإمام الحسين (ع) في كربلاء
غربة أبي عبد الله ووحدته في مسيره من مكة إلى كربلاء
هلموا نبايع الحسين (ع)
وقائع اليوم الخامس من المحرم ومحاصرة أبي عبد الله
وقائع اليوم السابع : منع الماء عنهم
وقائع اليوم الثامن من المحرم : فقدان الماء
حوار أبي عبد الله مع عمر بن سعد
ابن سعد يرسل رسوله إلى أبي عبد الله (ع)
لقاء خزيمة الأنصاري بابي عبد الله
وقائع يوم التاسع من المحرم وهجوم ابن سعد على حرم الحسين (ع)
حوار الإمام الحسين (ع)(مع أصحابه ليلة العاشر
لمحات من وقائع ليلة العاشر
مواساة الإمام الحسين (ع) لأهل بيته ليلة العاشر
حوار الحسين (ع) مع زينب ليلة العاشر
مصائب أنصار أبي عبد الله (ع)
بطولة أحد أصحاب أبي عبد الله (ع)
تضحيات رائعة لبعض أصحاب سيد الشهداء (ع)
لا قطرة ماء لإفطار صائمي كربلاء
السقَّاؤون لأهل بيت أبي عبد الله (ع)
مصيبة علي الأكبر
مصيبة القاسم بن الحسن

كلام الحر مع جيش ابن سعد في غربة أبي عبد الله (ع)
مظلومية رأس أبي عبد الله في مجلس ابن زياد
خطبة سيد الشهداء يوم العاشر في جيش الكوفة
شجاعة الحسين (ع) يوم عاشوراء
ليلة عاشوراء
عبادة سيد الشهداء (ع)
أداء أبي عبد الله (ع) صلاة الخوف
أحداث اليوم العاشر ووقائع أداء الصلاة
خوف أبي عبد الله (ع)
حج أبي عبد الله (ع) في كربلاء
حِجج سيد الشهداء
مناسك حج أبي عبد الله في كربلاء
وداع أبي عبد الله (ع)
بماذا تكفن أبو عبد الله (ع) ؟
أبو عبد الله(ع) يغتسل ويكفن نفسه بنفسه
حكاية السهام التي أصابت الحسين(ع)
غربة ووحدة أبي عبد الله
احتضار أبي عبد الله (ع)
بكاء أبي عبد الله (ع)
سجدات أبي عبد الله (ع)
مظلوميات أبي عبد الله (ع) في كربلاء
إفطار أبي عبد الله (ع) في كربلاء
موارد خجل أبي عبد الله (ع)
مصائب نعش أبي عبد الله
مصيبة قبر أبي عبد الله (ع)
مجلس رأس أبي عبد الله (ع)
استغاثات أبي عبد الله (ع)
مصيبة قطع رؤوس الشهداء
مصائب السيدة زينب
زينب أول من زار أبا عبد الله (ع)
مصائب سيد الساجدين (ع)
مصيبة أهل البيت في الشام
علامات الإيمان
العمل الخالص البكاء على أبي عبد الله (ع)

البكاء على الحسين (ع) ينجي من جهنم
الخصوصيات التي تفرد بها أبو عبد الله (ع)
ألقاب وأسماء أبي عبد الله